

روايات مصرية للجيب ونبيل فاروق

رجل المتحيل

المأزق

146

Looloo

www.helmelarab.net



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسنن إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حيّة، وبراعته الفائلة فى استخدام أدوات التفكير و(المكياج)، وإجادة السيارات والطائرات، وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نيسل فاروق

١- زيارة رسمية ..

« انتباه ! »

تطلق التهتاف فى قوة وحزم، مقترنا بصوت ارتطام الكعوب بعضها ببعض، فى ضربة أنية واحدة، وارتفعت الأيدى بالتحية العسكرية، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة مدير المخابرات العامة المصرية، وهى تعبر بوابة القصر الجمهورى، فى لحظة مبكرة من ذلك الصباح، التى غابت فيه الشمس، واحتجبت خلف غيوم كثيفة، غير مألوفة أو معتادة، فى هذا الوقت من العام ..

وعبر ساحة القصر الجمهورى، اتخذت السيارة مسارها، حتى توقفت أمام المبنى الكبير، حيث استقبلها مدير مكتب الرئيس شخصياً، والذى بدا شديد الاهتمام، وهو يصافح مدير المخابرات، قائلاً:

- صباح الخير ياسيدى .. معذرة لإيقاظك فى هذه الساعة المبكرة، ولكن من الواضح أن الأمر عاجل ومهم للغاية، وسيدة الرئيس ينتظرك فى مكتبه بالفعل ..

يتسم مدير المخابرات ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- لا بأس .. لقد اعتدت الاستيقاظ مع صلاة الفجر، تماماً كما يفعل سيادة الرئيس ..

كانت عقارب الساعة لم تكد تتجاوز الساعة ، عندما
دلف مدير المخابرات إلى مكتب الرئيس ، قائلاً :

- صباح الخير يا سيادة الرئيس .

رد الرئيس تحيته ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويشير
إليه بالجلوس ، ثم يجلس على المقعد المواجه له ، ويميل
نحوه ، قائلاً في اهتمام :

- الأمريكيون أرسلوا زائراً رسمياً إليكم .

بدت العبارة غامضة إلى حد ما ، في ذهن مدير المخابرات ،
على الرغم من وضوحها اللغوي ، فقال في شيء من
الحذر ، يكثر عادة بكل من يحتل هذا المنصب شديد
الحساسية :

- إلينا ؟

أجاب الرئيس في حزم :

- نعم .. إليكم .

ثم اعتدل جالساً ، وتابع في اهتمام شديد :

- هم أيضاً يعلمون أنني أستيقظ في ساعة مبكرة جداً ،
قبل شروق الشمس ، لذا فقد اتصلوا بي في السادسة

والثالث صباحاً : ليخبرني رئيسهم بنفسه ، أن أحد مسئولي
المخابرات المركزية الأمريكية يرغب في عقد اجتماع خاص
جداً ، وعاجل جداً ، مع مدير المخابرات العامة المصرية .

عاد مدير المخابرات يردد ، بنفس الحذر البالغ :

- خاص جداً ، وعاجل جداً !! ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟؟

أطلق الرئيس تنهيدة قوية ، من أعماق أصمق صدره ،
قبل أن يلوح بكفيه ، قائلاً :

- بالضبط .. هذا هو السؤال ، الذي يحتاج منا إلى كل
التركيز .. ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟؟ أي أمر هذا ، الذي
يحتاج إلى اجتماع خاص جداً ، وعاجل جداً ، مع مدير
المخابرات العامة شخصياً .

أطلق مدير المخابرات العنان لفكره ، وهو يجيب ،
بنفس الحذر المقترون بشخصيته الفريدة :

- إنه ليس أمراً سياسياً حتماً ، وإلا لطلبوا مقابلة شخصية
عاجلة مع سيادتكم ، أو مع أحد مستشاريكم ، أو حتى مع
السيد وزير الخارجية .

تابع الرئيس في اهتمام :

- وهو ليس أمراً عسكرياً أيضاً : فلنا بحكم منصبى ، القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وهناك وزير الدفاع ، وقادة أفرع الجيش المختلفة .

أشار مدير المخابرات بسبائته ، قائلاً :

- تتبقى إذن الأمور الخاصة بنا .. أعمال المخابرات .

التقى حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

- بالاضبط .

ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فنهض مدير المخابرات بدوره ، ليتابع فى حزم :

- ولكن أعمال المخابرات هى أمور بالغة السرية ، فى أية دولة من دول العالم ، ولا يصح .. بل ولا يجوز رسمياً أن تتم مناقشتها ، أو أن تطالب دولة ما ، أية دولة أخرى ، بأن تفصح لها عما تعتبره من شئونها الخاصة .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، وقال :

- والأمريكيون يعرفون هذا جيداً ، وعلى الرغم من غطرستهم وتبجحهم فى الآونة الأخيرة ، إلا أنهم قد تعاملوا معنا أكثر من مرة من قبل ، ويدركون جيداً أننا نضع

كرامتنا ووطنيتنا فوق كل اعتبار ، وأما إن نتسأل عن حقوقنا أو خصوصيتنا ، مهما كانت الضغوط .. ومهما كانت النتائج أيضاً .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تفكير عميق ، وهو يقول :

- ماذا إذن ؟

شملهما الصمت بضع لحظات ، وكأنما لا يجد أحدهما ما يضيفه ، أو أن كليهما يبحث فى ذهنه عن تفسير منطقى للموقف كله ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن تتلحج ، واستعاد طبيعته العسكرية ، وهو يشد قامته ، فى وقفة حازمة صارمة ، ويقول :

- فليكن ياسيادة الرئيس .. إتنا أمام لغز ما ، وهذا هو عملنا ، فى جهاز المخابرات .. سنعتقد اجتماعاً فورياً ؛ لدراسة الموقف كله ، وسأطلب من أفضل خبراءنا أن ..

قاطعته الرئيس فى حزم :

- الأمريكيون أيضاً توقعوا هذا .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تساؤل قلق ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى تابع :

- إذا فقد لجئوا إلى أسلوب متحليل مخيف ، وأرسلوا راجعهم إلى هنا فعلياً ، قبل مخاطبتنا رسمياً ، وهو الآن في سفارتهم ، في حي (جاردن سيتي) ، ويطلب الاجتماع بك في الثامنة ، بحجة أن طائرة خاصة ستقله إلى (أوروبا) ، في منتصف النهار ، ولا بد أن ينهى مهمته هنا ، قبل سفره إلى هناك .

أزداد العقاد حاجيبي مدير المخابرات ، وهو بعيد دراسة الموقف كله ، وفقاً للمعطيات الجديدة ، قبل أن يقول :

- أنظفها محاولة لإثبات قدرتهم على فرض إرادتهم وقنما يشاعون ، وكيفما يشاعون ، بإسبادة الرئيس ١٢

هز الرئيس رأسه ، في قوة وحزم ، وهو يجيب :

- لو أنني شعرت بهذا لحظة واحدة ، لرفضت الأمر كله فوراً ، ودون ذرة واحدة من التردد .. ولكن من الواضح أن لديهم بالفعل ما يريدون التباحث معك شخصياً بشئله .. ربما هو أمر غير سياسى ، وغير عسكري كما اتفقنا ، ولكنهم يريدون له شكلاً رسمياً ، على نحو أو آخر ، ولولا هذا لتم الاتصال بين مخابراتهم وبينكم مباشرة .

غمغم مدير المخابرات مؤيداً :

- هذا صحيح .

التقى حاجباً الرئيس ، وأطلق حزم قوى ، من كل خلية في وجهه ، وكل لمحة من ملامحه ، وهو يقول في صرامة :

- فليكن .. لديهم ما يريدون ، ولدينا ما نرغب في معرفته ، ولن يتحقق هذا أو ذلك إلا باجتماعك بهم .

وصمت بضغ لحظات ، قبل أن يضيف بكل الحزم :

- وليقض الله (سبحانه وتعالى) أمراً كان مفعولاً .

وكان هذا فصل الختام ، فى حوار الرئيس ومدير المخابرات ..

وفصل البداية ، لذلك اللغز الغامض ..

اللغز الأمريكى ..

فى تمام الثامنة بالضبط ، وقبل أن يمضى عقرب الثواني فى طريقه لثانية واحدة إضافية ، وصلت سيارة السفارة الأمريكية ، إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ، فى حي (كوبرى القبة) ، فى قلب (القاهرة) ..

ووفقاً لأوامر المدير ، تم اتباع كافة إجراءات الأمن المعتادة ، دون استثناء واحد ، ودون أن يعترض مندوب المخابرات

الأمريكية بحرف واحد ، حتى اصطعبه أحد رجال الأمن ، إلى حجرة المدير ، الذي استقبله في احترام معتاد ، في مثل هذه الأحوال ، ولكن دون أية بادرة للحرارة أو المودة ، ثم دعاه إلى الجلوس ، قبل أن يسأله في هدوء ، لا يخلو من الحزم :

- لماذا طلبتم الاجتماع بي شخصياً ؟!

التقط رجل المخابرات الأمريكي نفساً عميقاً ، ملأ به صدره عن آخره ، وكفاه بهم بخوض معركة شرسة ، قبل أن يقول في حزم :

- الإدارة لدينا منزوعة جداً ، بشأن بعض تجاوزاتكم ، التي فاقت كل الحدود .

شيك المدير أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول في هدوء ، يخفى كل ما يعتل في أعماقه :

- تجاوزات ؟! وأية أمور تلك التي يمكن تسميتها بهذا المصطلح ، في عالم المخابرات ؟!

أجابه العندوب الأمريكي في سرعة :

- أمور عديدة .

هز المدير كتفيه في هدوء عجيب ، قاتلاً :

- فليكن .. لو أنه لديكم أية احتجاجات رسمية ، فيمكنكم أن ..

قاطعه الأمريكي ، في شيء من العصبية :

- لو أن لدينا احتجاجات رسمية ، لما غادرت الولايات المتحدة الأمريكية قط ، ولتولت وزارة الخارجية الأمر كله . صمت المدير لحظة ، قبل أن يسأله ، بنفس الهدوء الظاهري المستفز :

- ماذا هناك إذن ؟!

أجابه الأمريكي ، قبل حتى أن يكتمل السؤال :

- تجاوزاتكم .

وهنا ضرب المدير سطح المكتب براحته ، قاتلاً في صرامة :

- أية تجاوزات ؟!

احتقن وجه الأمريكي ، وازدرد لعابه في توتر ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا الهجوم ، قبل أن يقول :

- الخطوط الحمراء .. لقد تجاوزتم كل الخطوط الحمراء .

اتعتقد حاجبنا المدير ، وهو يقول بكل الصرامة :

- لا توجد خطوط حمراء في عالمنا يا رجل .. لسنا مثلكم ،
نقل أي شيء ممكن ، لو غير ممكن ؛ لبلوغ الأهداف والغايات ،
بغض النظر عن الطرق والوسائل والأساليب .. إنا وبحكم
طبيعتنا ومبادئنا ، ولتزامنا بما يعقيدتنا ، نلتزم حتماً بحدود
خاصة ، وتكثيف وسائلنا لتتوافق معها ، بحيث نحقق
النجاح ، دون أن نخلل بالعقيدة ، أو أخلاقيات المهنة .

هز الأمريكي رأسه في قوة ، قائلاً في حدة :

- لا توجد أخلاقيات لعالم المخابرات ، سوى أن تربح
صليتك ، وتنتصر في مهمتك ، مهما كانت الوسائل .. وعقيدتنا
أن التجاح في النهاية ، يقهر كل ما سبقه من تجاوزات .

أشار المدير بسبائحه ، قائلاً في صرامة :

- من وجهة نظركم فحسب .

لوح الأمريكي يترامحه كلها ، هاتفاً :

- فليكن .. هذا شأنكم وحدكم .

أجاب المدير ، بمنتهى الصرامة :

- بالتأكيد .

حاول الأمريكي أن يلتقط أنفاسه ؛ للسيطرة على انفعاله
الجارف ، الذي دفعه إلى تجاوز الحدود ، وبذل جهداً خرافياً ،
للاسترخاء في مقعده ، ولكن مدير المخابرات المصرية قال
في حزم ، دون أن يمنحه الفرصة لهذا :

- لم أحصل على جواب بعد .

تتجح مندوب المخابرات الأمريكية ، في عصبية واضحة ،
قيل أن يقول في شيء من الحدة :

- إني هنا ، بشأن أحد رجالكم .

تراجع المدير في مقعده ببطء ، وبدأ له أنه قد أدرك الهدف
أخيراً ، فتنطع إلى عيني الأمريكي مباشرة ، وهو يرثد في حذر :

- أحد رجالنا !

سال الأمريكي إلى الأمام بحركة حادة ، قائلاً :

- نعم ..

غلبه الانفعال ، على الرغم منه ، فزاد رد لعابه هذه
العمرة ، قبل أن يكمل في صوت منحوح :

- (أدهم صيرى) -

اتعتقد حاجبنا المدير ، وهو يعتدل بحركة حادة ، هاتفاً :

- نعم ...

يتر كلمته دفعة واحدة ، قبل أن ينطق الرمز الكودى
 لـ (أهم) ، والذي اعتاد أن يخاطبه به دومًا ، من دون
 اسمه ، وبهذا الغضب واضحًا جدًا ، فى ملامحه وصوته ،
 وهو يقول فى صرامة :

— ماذا عنه ؟؟

قال الأمريكى فى توتر ملحوظ :

— رجلكم هذا بالذات ، يتجاوز دومًا كل القواعد والحدود ،
 عندما يقوم بمهمة ما ؛ حتى إنه لا يبالى بكوننا قادة النظام
 العالمى الجديد ، وزعماء الـ...

قاطعه المدير فى صرامة ؛ ليمتنعه من مواصلة كلماته
 المتباهية السخيفة :

— ومن يبالى ؟؟

اتسعت حنا الأمريكى ، وهو يحثق فيه بدھشة بالغة ،
 وكأنما لا يصدق ما سمعه ، فواصل المدير ، بكل صرامة
 الدنيا :

— دعنى أذكركم بقاعدة مهمة ، فى عالم المخابرات ،
 فالعمل هو العمل ، وكل جهاز يؤدى دوره ، وفقًا لمقتضيات

الموقف ، ومتغيرات الأمور والأحداث فى وطنه ، وفى
 المنطقة المحيطة به ، وكل رجل هنا يؤذى واجبه ، بكل
 إخلاص وأمانة وصدق وثقان ، وكلهم مستعدون للموت ،
 دون ذرة واحدة من التردد ، فى سبيل عقيدتهم ووطنهم ،
 فمن أتم حتى تأتوا بكل غطرسة الدنيا ؛ نطالبونا بالآ تؤدى
 عملنا واجبنا ؟؟ من تكونون ، حتى تحاولوا دفعنا إلى
 مسار واحد ، تختارونه لنا بأنفسكم ؟؟

ثم نهض بحركة خادة ، انتفض لها جسد الأمريكى على
 نحو غريزى ، وهو يواصل ، بنفس الصرامة :

— لو أن هذا هو السبب الوحيد لاجتماعكم بنا ، فيمكنك
 أن تعتبر أن هذا ردنا النهائى .

هتف الأمريكى فى غضب :

— ولكننى لم أطرح مطلبنا بعد .

صاح به مدير المخابرات :

— المبدأ نفسه مرفوض .. لن تسمح لكم بالتدخل فى
 شئوننا الخاصة أبدًا .

هب الأمريكى واقفًا ، وهو يقول فى حدة :

— مهما كانت النتائج ؟؟

شد مدير المخابرات قامته ، وأجاب بكل الحزم :

- مهما كانت النتائج .

انقض جسد الأمريكي في قوة ، واحتقن وجهه بشدة ، وبدا لحظة وكأنه سيفجر كبالون منتفخ ، من فرط انفعاله ، في حين عقد مدير المخابرات ساعديه أمام صدره في صرامة ، و

- « أنا مصر » .

نطقها الأمريكي فجأة ، بصوت حاد رفيع ، بدا وكأنه قد تجاوز حلقه بدفعة واحدة مباحة ، وهو يضم حقيقته في شدة إلى صدره ، على نحو يوحى بأنها تحوى شيئاً بالغ الأهمية ، فسأله المدير في صرامة :

- علام تصر ؟

أجابه الأمريكي ، في سرعة وعصبية :

- على استعمال المفاوضات .

أشار المدير براحته ، قتلًا في صرامة شديدة :

- لا تفاوض في هذا الشأن .

جلس الأمريكي بحركة عصبية ، وهو يفتح حقيقته ، قتلًا في عدا :

- لا بد أن تصموا عرضنا أولاً .

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، وهو يدير الأمر في رأسه ، فتابع مندوب المخابرات الأمريكية في شيء من العدة :

- وأن تتشاور فيه مع الرئيس شخصيًا ، قبل اتخاذ أي قرار .

رقبه مدير المخابرات بنظرة صرامة ، قبل أن يعود للجلوس على مقعده ، ويقول بنفس الصرامة :

- وما عرضكم هذا ؟!

التقط الرجل من حقيقته عدة أوراق ، وضعها أمام مدير المخابرات ، وهو يقول في سرعة :

- لكونجرس وافق على منحكم ضعف المساعدات المالية والعسكرية المالية ، وزيادة نسبة التعاون التقني بيننا ثلاث مرات ، كما وافق على فتح الأسواق الأمريكية أمام منتجاتكم ، و ...

قاطعه المدير في حزم :

- والثمن ؟!

تراجع المنسوب الأمريكي في مقعده ، قائلاً :

- أنتم تعرفون الثمن .

مال المدير نحوه ، قائلاً في صرامة :

- حياة (أدهم صبرى) .. ليس كذلك ؟!

استعاد الأمريكي لونه الطبيعي ، والتكشير من هدوله وثقلته بنفسه ، وهو يقول :

- ليس بالضرورة .. حياته أو موته لا يعنياننا كثيراً في الواقع .

ثم التقى حاجباه ، وهو يعيل إلى الأمام ، مستطرداً :

- المهم ألا يبقى .

تراجع مدير المخابرات في مقعده ، دون أن يرفع عينيه عن وجه الرجل ، الذي تابع ، وقد استعاد ثقته كاملة :

- هناك وسائل عديدة ، فمن الممكن إحالته إلى التقاعد ، أو نقله إلى وظيفة إدارية ، في جهاز أمنى آخر ، أو حتى منحه منصبا قياديا ، في وزارة السياحة ، أو هيئة البترول ، أو

قاطعه المدير بكل الحزم والحسم :

- (أدهم) سيبقى .

تطلع إليه الأمريكي في صمت ، فتابع بنفس اللهجة :

- وقرار اعتزاله يعود إليه ، أو إلى تجاوزه السن القانونية للعمل .. وحتى في الحالة الأخيرة ، أنظن أن أى مدير قائم للمخابرات ، لن يترنذ لحظة واحدة ، في التعاقد معه شخصيا ؛ للاستفادة من كل خبراته السابقة .

ثم أشار بسبابته ، مضيفا في صرامة :

- ما لم يطلبه الرئيس ، كمستشار أمنى خاص بطابع .

صمت الأمريكي طويلاً هذه المرة ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قبل أن يقول فجأة ، فى شيء من الحزم :

- أئن تتحاور مع الرئيس أولاً ؟

أجابته المدير المخابرات فى صرامة :

- لن يختلف رأى سيادة الرئيس كثيراً ، عما سمعته منى الآن .

قال الرجل فى تحد :

- أنت والثق ؟!

عند المدير ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى حسم :

- تمام الثقة .

ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفתי الأمريكى ، وهو يلتقط مجموعة أوراق جديدة من حقيبته ، ويضعها أمام مدير المخابرات ، قائلاً :

- الأفضل ألا تسرف فى الثقة .. أو التفاوض .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيقاً :

- قبل أن تطالع الجزء الثانى من عرضنا هذا .

التقط مدير المخابرات الأوراق ، فى حذر قلق ، وانحنى بطالعتها فى اهتمام ، قبل أن ينعد حجابها فى شدة ، ويتفجر الغضب من كل ذرة فى كيانه بلا استثناء ..

فبالجزء الثانى من العرض الأمريكى ، كان يتجاوز الحدود بالفعل ..

كل الحدود .



هاتف المساعد ، وصورته تَهْتَز ، على شاشة جهاز الاتصال المحدود :

- لم يعد مستحيلاً أيها الزعيم .. لقد صار حقيقة .. حقيقة مرعبة مفزعة .. إننا نحيا كابوساً بشعاً ، لم نتصور مجرد حدوثه .. كل شيء من حولنا ينهار ، بسرعة .. كل شيء .. كل شيء ..

صرخ بكلماته الأخيرة ، وقد تضاعف انفعاله بشدة ، حتى خيل لمستر (X) أن الرجل قد أصيب بالجنون ، من فرط الرعب والانهيار ، فازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول في صرامة عصبية :

- فليكن .. لدينا خطة أخيرة ، و

قبل أن يتم عبارته ، نقلت إليه أجهزة الاتصال دوى رصاصة ، امتزجت بشهقة مكتومة من مساعده ، الذي بدأ على شاشة متسع العينين ، متفجراً بالألم والرعب ، قبل أن تسيل السماء فجأة ، من ثقب في جبهته ، ثم يسقط كالحجر ..

وتنقض جسد مستر (X) في علف ، وهو يهب من مقعده بحركة حادة ، ويحدث في شاشة جهاز الاتصال المحدود ،

٢- العرض الوقح ..

« كل شيء ينهار .. »

انطلقت الصيحة ، بكل تؤثر الدنيا ، عبر شبكة الاتصال المحدودة ، داخل مقر مستر (X) ، زعيم أكبر منظمة للجاسوسية الخاصة في العالم ، فاعتقد حاجبا هذا الأخير في شدة ، وهو يقول في عصبية ، فلما اكتسبها صوته :

- مستحيل ! لا يمكن أن تسوء الأمور بهذه السرعة ! هذا المقر يعتبر حصناً حصيناً ، بالقياس إلى كل ما أعطناه به ، من وسائل الحماية والدفاع .

هاتف مساعده الأذن ، عبر شبكة الاتصالات ، وكل حرف من حروف كلماته يرتجف على شفثيه ، من فرط التوتر والانفعال :

- إهم يهاجمون نقاط تحصينتنا ، ومقر دفاعاتنا مباشرة ، وكثائهم يجعلون خريطة الدفاعية السرية .. لقد حصنوا عليها يا مستر (X) .. حصلوا عليها حتماً ، بوسيلة ما .

التقى حاجبا مستر (X) بمنتهى الشدة ، وهو يقول :

- مستحيل ! مستحيل !

التي حملت صورة امرأة فاتنة ، تقدمت نحوها في هدوء ،
وهي تحمل مسنناً ، مازال الدخان يتصاعد منه ، وهي تقول
في سخرية :

- مرحباً يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك لم
تتوقع أبداً أن تحدث إليك يوماً ، من داخل مقرك الطريف
هذا .. أليس كذلك ؟؟

بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحدق في وجهها ،
الذي ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

- الواقع أنني كنت أنتظر شخصاً آخر .

هزت كتفها ، قائلة في لامبالاة :

- أعظم هذا .

عاد حاجباه يلتقيان في عصبية ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

- بالضغط .

ثم انقطعت من عتبة سجانها الذهبية سيجارة ، ذات لون
أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقداحة
مرصعة بالعماس ، ونفثت دخانها في استمتاع واضح ، قبل
أن تقول :

- قلنا أعظم مثلاً ، أنك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ،
أسفل القاعة التي أوقف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى
تجعل الوصول إليك ضرباً من المستحيل .

قل في صرامة :

- هذا صحيح .

أردفت في سرعة :

- من وجهة نظرك فقط .

نظمتها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تعيل
نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سيجارتها نحوها ،
متابعة :

- لقي طريقى إلى هنا ، مررت بمعمل فيروفسير (براون) ،

التي حملت صورة امرأة فاتنة ، تقدمت نحوها في هدوء ،
وهي تحمل مسنناً ، مازال الدخان يتصاعد منه ، وهي تقول
في سخرية :

- مرحباً يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك لم
تتوقع أبداً أن تحدث إليك يوماً ، من داخل مقرك الطريف
هذا .. أليس كذلك ؟؟

بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحدق في وجهها ،
الذي ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

- الواقع أنني كنت أنتظر شخصاً آخر .

هزت كتفها ، قائلة في لامبالاة :

- أعظم هذا .

عاد حاجباه يلتقيان في عصبية ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

- بالضغط .

ثم انقطعت من عتبة سجانها الذهبية سيجارة ، ذات لون
أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقداحة
مرصعة بالعماس ، ونفثت دخانها في استمتاع واضح ، قبل
أن تقول :

- قلنا أعظم مثلاً ، أنك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ،
أسفل القاعة التي أوقف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى
تجعل الوصول إليك ضرباً من المستحيل .

قل في صرامة :

- هذا صحيح .

أردفت في سرعة :

- من وجهة نظرك فقط .

نظمتها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تعيل
نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سيجارتها نحوها ،
متابعة :

- لقي طريقى إلى هنا ، مررت بمعمل فيروفسير (براون) ،

وأدبرت معه حواراً هادئاً لطيفاً ، أثبت صحة وجهة نظري ،
تجاه هؤلاء الغملاء ؛ فمع أول إظهار التزعناء من سبلاته ،
تفهار تماماً ، وسلمنا كل التصميمات ، الخاصة بنظام الدفاع
والحماية الإلكترونية للمكان كله ، وشرح لنا كيفية تجاوز
كل الحواجز .

احتقن وجه مستر (X) ، من فرط الغضب ، مع ضحكتهما
العابثة الثانية ، التي جعلت قدراً رهيباً من السخرية ، قبل
أن تتابع :

- وهذا يثبت أيضاً أنك ما زلت تحمل لمحة من حماقة
في أعينك يا عزيزي الزعيم .. السليق .. فلو أنني في
موضعك لما تركت الرجل الذي يعرف أسرار دفاعاتي على
قيد الحياة ، ويؤمن حراسة أو حماية أيضاً .. لا تحمل في
قلبك ضغينة تجاهي يا عزيزي ، ولكن هذا التصرف كان
شديد حماقة بالفعل .

اقتربت عبارتها الأخيرة بأزيز جهاز إنذار خاص ، داخل

مخبله الحصين ، يشير إلى أن بعضهم قد تجاوز الدفاعات
الرئيسية للمعشأ ، وأن سقوطه أصبح مسألة وقت
فحسب ، فإزداد احتقان وجه مستر (X) ، وقال في
غضب هادر :

- ستدفعين الثمن غالباً أيتها الحقيبة .

أطلقت ضحكة عالية ، إثر عبارته الغاضبة ، وقالت
بمنتهى السخرية :

- أقطع الثمن .. ولعن تتوقع أن أدفعه بالضبط ، يا زعيم
المتحذلقين !!

جذب مستر (X) شريحة خاصة ، في قاعدة جهاز
التصنيد ، وراحت أصابعه العصبية تضغط مجموعة من
الزرار الدقيقة ، المثبتة على سطحها ، في تتابع مدروس ،
وهو يقول :

- لا تتباهى إلى هذا الحد أيتها الحقيبة .. ربما تسير
الأمور ، على عكس ما تتصورين ، على الرغم من أن
الأمور كلها قد توحى بخلاف هذا .

ارتفع حاجبها ، فى دهشة ساخرة ، وهى تهتف :

- حقاً ؟

ثم عانت تميل نحو الشاشة ، متابعة :

- ولكن معذرة يا عزيزى ، فلو أنك تقصد نظام التدمير الشامل ، الذى لا يدرك رجالك وجوده ، والذى لا يمكن التحكم فيه ، إلا بواسطة تلك الشريحة الخاصة ، فى قاعدة جهاز الاتصال المحدود ، داخل المخابئ السرى ، فيؤسلى أن أخذك ، بقولى : إننا قد أتلفنا وصلاته الرئيسية ، فور نجاحنا فى التحكم مترك هذا .

وأطلقت ضحكة عابثة أخرى ، مضيفة :

- باختصار يا عزيزى مستر (X) ، لقد أصبحت أشبه بفأر حقير ، داخل مصيدة محكمة ، ليس أمامه سوى انتظار لحظة وصول القط ، ليلهو به قليلاً ، ثم يلتهمه فى النهاية بلا رحمة .

حمل صوته كل غضب الدنيا ، وهو يهتف :

- هذا ما تتصورينه أينما الحقيقة .

هزت كتفها فى لامبالاة ، وألقت سيجارتها بعيداً ، وهى تقول فى استهتار والتى :

- إنها مسألة وقت فحسب .

كان جهاز الإنذار الثانى ، داخل مخابئ مستر (X) ، قد انطلق أيضاً ، معنناً تهيار الدفاعات الثانوية ، إلا أن الرجل ضغط زر إنهاء الاتصال ، وهو يقول فى حدة :

- صحيح أنك لست من كنت أتوقعها ، وأنت أكثر مهارة وبراعة ، من كل ما تصوّرتة ، ولكن هذا لا يعنى أننى قد خسرت المعركة كلها .

ثم استدار يضغط زرّاً خفياً ، فى جدار المخابئ الخلفى ، وهو يضيف فى مقلت شديد :

- إنها مجرد جولة .

أراح الجدار الخلفى فى خفة ، ودون أدنى صوت ، ليكشف خلفه زورقاً آلياً مصفحاً ، يستقر فوق سطح مياه جدول صناعى ، يتصل بالمحيط مباشرة ، فوثب إليه ، مكملاً :

- والتيروفيسير (براون) لم يكن وحده مبتكر كل شيء .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتى كان مقاتلو تلك الفاتنة الغامضة يقتحمون المكان ، بمنتهى القوة والعنف ، و ...

« اختلفي !! »

هتكت هي بالكلمة في غضب مكثوم ، عندما أبلغها الرجال بالأمر ، وأسمعت سيجارة أخرى ، في توتر ملحوظ ، قبل أن تقول في صرامة :

.. خطأ .. أكبر خطأ .. كان من المعتمد أن يلقي مصرعه هنا .. لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لهذا !

أجابها قائد فرقها في توتر :

- من الواضح أن معلوماتنا لم تكن كاملة أيتها الزعيمة .. كان هناك نفق فرار مائي سرى ، يتصل بالمحيط مباشرة ، ولقد رصد رجالنا زورقاً مصفحاً ، ينطلق بسرعة خرافية ، مبتعداً عن هنا ، وعندما أطلقوا النار نحوه ، ارتكبت رصاصاتهم ، ثم غاص في أعماق المحيط ، واختلفي

تماماً عن الأتظار .. حتى طائرات الهليكوبتر عجزت عن العثور عليه .

التعد حاجبها في شدة ، وهي تلفت دخان سيجارتها في توتر ، قبل أن تقول في عصبية :

- زورق مصفح ، يمكنه أن يتحول إلى غواصة صغيرة !! أسلوب بارع بحق يا ماستر (X) .. لقد ربحنا الجولة ، ولكننا لم نربح المعركة كاملة ..

لغثت دخان سيجارتها بطع لحظات ، قبل أن تتابع :

- فليكن .. لن يفسد هذا خططنا المستقبلية .

وأدارت عينيها إلى قائد قواتها ، مستطردة :

- سننتقل إلى الفصل التالي من الخطة مباشرة .

سألها في اهتمام :

- وماذا عن هذا المقرر ١٤ هل نستولي على كل الأسلحة والأجهزة التكنولوجية ، و ...

قاطعت في صرامة :

- انسف المكان كله فحسب .. فوراً .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وهو يقول :

- أنسفه !؟ هذه الأشياء تساوى ثروة طائلة ، و

قاطعه بصيحة هادرة :

- نفذ الأوامر .

ثم التجهت نحو الهليكوبتر الخاصة بها ، وهي تضيق في صرامة شرسية ، ولهجة قاسية حاسمة :

- أنا وحدى أعلم ، لماذا أفعل كل هذا ؟؟

قالتها ، ووثبت داخل الهليكوبتر ، مستطردة :

- لا تترك ذرة واحدة سليمة .. هل تفهم ؟ ذرة واحدة !

وارتفعت بها الهليكوبتر ، وانطلقت مبتعدة ، تاركة القائد خلفها ، في خيرة كبيرة ، ثم يلبث أن حسمها ، هاتفاً برجلاته في صرامة :

- استعدوا لتسف كل شيء .. فوراً .

كانت الهليكوبتر قد ابتعدت بها كثيراً ، عن المقر السرى لمستر (X) ، عندما سطع ضوء الانفجار الهائل في السماء ، فتألفت عينها ، وأشعلت سيجارة جديدة ، مغممة :
- عظيم .

فتمسف المقر السرى لمستر (X) ، كان بالنسبة إليها بداية العملية الكبرى القادمة ..

العملية التي ستغير وجه العالم كله ..

إلى الأبد ..

تعدد حاجبا (أدهم صبرى) ، في صرامة غاضبة ، وهو يطلع تلك الأوراق ، التي قدمها له مدير المخابرات ، قبل أن يعيدها إليه ، قتيلاً :

- الواقع أنه عرض وقح للغاية ياسيدى ، ويضع وطننا كله في مأزق سخيف .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً فى حزم :

- سيادة الرئيس قرّر رفض العرض كله يا (ن - ١) ..
بل وتقديم احتجاج رسمي عليه ، في كل المحافل الدولية ،
وبخاصة في الأمم المتحدة^(*) ، ومجلس الأمن^(**) ..
الأمريكيون لن يفرضوا إرادتهم علينا أبداً ، مهما كان
الثمن .. لقد لينفك بالأمم ، فقط لأنك أحد أطرافه ، ومن
حقك أن تدرك ما يدور من حولك .

بدا (أهم) شديد الاهتمام ، وهو يقول :

- إنني أحترم تماماً موقف سيادة الرئيس ياسينوي ، ولأدرك
جيداً أنه من المستحيل أن يقبل مثل هذا العرض الوقح ،
حتى ولو كان الأمريكيون هم أكبر قوة ضاربة في العالم
كله ، وزعماء النظام العالمي الجديد ..

(*) الأمم المتحدة : منظمة دولية ، تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية ، لتحل
محل عصبة الأمم ، في حفظ السلام ، وحل المنازعات الدولية ، وتحقيق التعاون
الدولي ، الاقتصادي والاجتماعي ، ولقد وقعت إحدى وخمسون دولة على ميثاق الأمم
لمتحدة ، في ٢٤ يونيو ١٩٤٥ م ، وقانونت رئيسية للأمم المتحدة هي : الجمعية
العامة ، مجلس الأمن ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، مجلس trusteeship ، محكمة
لعدل دولية ، واللغة العامة .

(**) مجلس الأمن : أحد أفرع الأمم المتحدة ، والمستول عن فض المنازعات
الدولية ، ولقد اجتمع لأول مرة ، في يناير ١٩٤٦ م .

أدرك أنه لن يقبل عرضهم ، لأن دماءه الحرة تأبى عليه
أن يقبله ، وترفض بكل شمم وإباء أن تحاول أية دولة
في الوجود ، أن تفرض إرادتها على شعبنا وتاريخنا ، ولكن
الأمريكيين يعرفون الآن بحالة غير طبيعية ، من زهو القوة ،
والتعطش لرائحة الدم ، والتجاهل التام لكل القوانين ،
والتقواعد ، والأعراف الدولية أو الإنسانية ، وما فطوره هم
والبريطانيون في (العراق) ، متجاوزين كل شيء ، وكل
قانون ، ومعتلين بأنهم لقانون القوة وشرعية الغلب ، هو
أكبر دليل على وحشية هذا الزمن .

قال المدير في حزم :

- نحن نعلم كل هذا ، ومازلنا نرفض الاستسلام
إرادة الأمريكيين يا (ن - ١) .. سندافع عن حريتنا
واستقلالنا ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات ،
صمت (أهم) لحظة ، لتقط خلالها نفماً عميقاً ، قبل أن
يقول في حزم واضح :

- ليس من العدل ياسينوي ، أن يضحي شعب كامل ، من
أجل فرد واحد ، مهما كانت أهميته .

هز المدير رأسه ، قتلًا :

- إنها ليست مسألة فرد واحد يا (ن - ١) .. الأمر يتجاوز هذا بكثير ، ولو أن المشكلة تكمن في علاقتك بجهاز المخابرات فحسب ، لكن من الممكن أن نتخذ قرارنا ، ولكن الواقع أنها لعبة فرض إرادة ، ولو استسلمنا للإجبار الأمريكي هذه المرة ، سيتمادون أكثر وأكثر ، في المرة القادمة .

شد (أدهم) قامته ، قتلًا :

- إنهم سيتمادون في كل الأحوال يا سيدي .. تجربتهم في مشكلة (العراق) تثبت هذا .

ترجع المدير في مقعده ، قتلًا في حزم :

- أنت رجل مخابرات فريد يا (ن - ١) خبير في مهنتك ، مدهش في قدراتك ، وسيد بلا منازع في عالمنا هذا ، ولكن لو أن براعتك في السياسة تقارب براعتك في عمل المخابرات ، فذكرت أن الفارق شاسع ، بين موقفنا وموقف (العراق) السابق ، وأن ..

- « أرجو قبول استقالتى يا سيدي .. »

قاطعه (أدهم) بقوله هذا فجأة ، فالتفت عينا المدير ، وهو يهتف مستنكرًا :

- ماذا ؟

شد (أدهم) قامته أكثر ، وهو يقول ، بلهجة رجب حسم أمره ، واتخذ قرارًا لرجعة فيه :

- يبدو لي خلأ مثاليًا ، من جميع الوجوه يا سيدي .

حقق فيه المدير لحظة أخرى ، قبل أن يضرب سطح المكتب براحته ، هتفًا في صرامة :

- خطأ يا (ن - ١) .. خطأ .. لو استقلت من عمك الآن ، سيتصور الأمريكيون أننا قد أجبرناك على تقديم استقالتك ، تنفيذا لمطالبهم ، وأنا قد خضعتا لعرضهم الوقع هذا .

قال (أدهم) في توتر :

- واستمرارى في العمل سيضع (مصر) كلها في مآزق سخيف يا سيدي ، وسيضطرها إلى الدخول في صراع ، يتعارض مع كل مشروعاتها للتنمية ، وخططها للمستقبل ، ومصرى مخلص لوطنه ، أتأى بنفسى عن التسبب في حدوث هذا .

هز المدير رأسه نفياً في قوة ، وهو يقول :

- ليس من حقك أن تتخذ القرارات ، في موقف كهذا ،
يخص الأمة كلها ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بك شخصياً .

التقط (أدهم) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- صنفني ياسيدى .. أنا أشعر بالإرهاق الشديد ، منذ
فترة من الوقت ، وأحتاج بالتفعل إلى إجازة طويلة نسبياً ،
أستعيد خلالها نشاطي ، وأسترجع حيويتي ، والآن ، وفي
مثل هذه الظروف ، يبدو لي أنه لا فارق بين إجازة طويلة ،
واستقالة قورية .. على الأقل ، الأخيرة ستحسم الموقف كله
الآن .

اتعقد حاجباً المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، ويقول
في ببطء :

- إجازة طويلة !! فكرة لا بأس بها على الإطلاق .

ثم عاد يعتدل بحركة حادة ، وأشار نحو (أدهم)
بسيابته ، مستطرداً في حماسة :

- إنه حل عبقري يا (ن - أ) .

أطلق التساؤل من عيني (أدهم) ، فتابع المدير بنفس
الحماسة :

- تقدم إلى شئون الأفراد بطلب إجازة طويلة .. إجازة
لمدة شهر مثلاً .. هذا حقك القانوني ؛ لأنك لم تحصل على
آية إجازات اعتيادية ، منذ عدة سنوات .. وعلى نحو
روتيني تماماً ، ستتم الموافقة على طلب إجازتك ، بتاريخ
سبق لليوم ، أي لك ، ومن الناحية الرسمية ، ستكون في
إجازة رسمية ، منذ صباح أمس ، أي قبل أن يقدم
الأمريكيون عرضهم للوقف .

تسأل (أدهم) :

- وهل سيصنع هذا فارقاً ؟؟

أجابه المدير ، في سرعة وحزم :

- بالتأكيد .

ثم عاد يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام
وجهه ، مضيقاً :

- سيمتحننا هذا شهراً كاملاً على الأقل ، لدراسة الموقف ،
ويحلته ، وتقييمه ، واتخاذ ما يلزم بشأنه .
تردد (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :
- أخشى أنه مجرد تأجيل للمواجهة فحسب .
أشار المدير بسبابته ، قائلًا :

- عبارة لا ينبغي أن ينطقها رجل مخابرات محترف
يا (ن - ١) فتوقفت هو أفضل ما يمكن أن يحظى به
أي جهاز مخابرات ، لتجاوز العقبات ، وتحقيق
المستحيلات .

وارتسمت على شفطيه ابتسامة وثقة ، وهو يشير بيده ،
قائلًا في حزم :

- ثم من يدري ، كيف يمكن أن تتطور الأمور ، خلال
شهر كامل ..

ولم ينذر المدير لحظتها ، كم كانت عبارته صائفة ..

فمن يدري ، كيف تتطور الأمور ، خلال شهر كامل ؟

بل خلال أسبوع واحد !!

من يدري ؟!

هذا هو السؤال .



٣- إنذار ..

لن عقد حاجبا الرئيس الأمريكى فى شدة ، وهو يقطع الورقة التى وضعتها مستشارته الأمنية الخاصة أمامه ، وقال فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟؟

أجابته مستشارته الأمنية السمرء ، بلهجة باردة كملامحها :

- كما ترى يا سيادة الرئيس .. إنه إنذار .

استشاط الرئيس الأمريكى غضبا ، وهو يهتف :

- إنذار ؟؟ ومن ذا الذى يجروى على توجيه إنذار لنا .. نحن أقوى دولة فى العالم ، وزعماء النظام العالمى الجديد ، و ...

قاطعتها مستشارته الأمنية ، فى لهجة صارمة قاسية ، لا تتناسب مع وضعها السيلسى :

- المنطقة التاسعة والأربعون ، تمت إزالتها تماما من الوجود .

حدث فى فيها الرئيس الأمريكى ، فى دهشة تمتزج بنمحة تَعَر ، وهو يقول :

- المنطقة التاسعة والأربعون ؟؟ عن أية منطقة تتحدثين بالضبط ؟؟

اعتلت ، مجيبة فى برود غاضب :

- عن القاعدة العسكرية السرية ، فى صحراء (نيفادا) ، والتى تحمل الرمز الكودى (المنطقة التاسعة والأربعين) ، والتى لا يعلم بوجودها سوى عدد محدود ، من كبار القادة والجنرالات .. تلك القاعدة ، التى تحوى عددا من أسلحتنا السرية التجريبية ، أصابها سلاح مجهول ، على نحو تسبب فى سحقها سحقا ، وإزالتها من الوجود تماما .

بلغت دهشته حد الذهول ، وهو يحدث فى وجهها ، على نحو جعلها تقول فى حدة :

- سيادة الرئيس .. أحتاج إلى رأيك فى هذا الشأن .

تنفض الرئيس الأمريكى ، كمالو أنه يقيق من سبات عيق . وهتف بكل توتر الدنيا :

- رأى أنا ؟؟

انعقد حاجباها ، على نحو منحها مظهراً أكثر قسوة
وصرامة ، وهي تقول :

- أنت رئيس البلاد ، والقرار قرارك .

هتف في عصبية :

- أين وزير الدفاع ؟ أين نائب الرئيس ؟ أين الـ ...

قاطعته مرة أخرى ، في لهجة صارمة قاسية :

- سيادة الرئيس .. أين تطالع الإنذار أولاً ؟

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكي في شدة ، والتقط منظار
القراءة الخاص به ، وهو يقول في حدة :

- بالتاكيد .

ثم صاح بها في غضب ، وهو يلتقط الإنذار مرة أخرى :

- وفي المرة القادمة ، حاولي أن تتحدثي إليّ بأسلوب
أكثر لياقة .. أنا رئيس أقوى دولة في العالم .

غمغمت في ضجر :

- أعلم هذا .

جرت عيناه في سرعة ، على كلمات ذلك الإنذار ، الذي
وصل إلى (البيت الأبيض) ، مقر الرئاسة الأمريكية ، عبر
جهاز الفاكس ، الخاص بمستشارة الأمن القومي شخصياً ،
وعاد مزيج من الدهشة والغضب يتصاعد في أعماقه ، قبل
أن يهتف في حدة . وهو يلقي الإنذار جانباً :

- كيف يجرعون ؟

أجابته مستشارة الأمن في سرعة :

- يجرعون ، لأنهم أعطونا ليلاً على قوتهم بالفعل ، يا سيادة
الرئيس ، عندما أزالوا المنطقة التاسعة والأربعين من الوجود ،
بسلح مازال الخبراء يجهلون ماهيته ، حتى هذه اللحظة .

ثم أشارت إلى الإنذار ، مستطردة :

- ومن الواضح أنهم يستعدون لإبتيات قوتهم مرة أخرى ،
فقد طلبوا منا متابعة هبوط مكوك الفضاء ، الذي سيصل
إلى الأرض ، خلال اثنتي عشرة دقيقة من الآن .

- بدا عليه التوتر ، وهو يقول :

- وما الذي يمكن أن يفعلوه به ؟

هزت رأسها ، قائلة :

- لا أحد يدري .

ثم استدركت في سرعة :

- ولكنني أمرت بمتابعة عملية الهبوط لحظة فالحظة ، ورصد أية ظواهر غير طبيعية ، ترتبط بها ، على نحو مباشر ، أو غير مباشر .

التزعزع الرئيس الأمريكي منظاره عن عينيه ، وهو يقول في توتر شديد :

- الأمر شديد الخطورة ، فلا يمكننا أن نسمح لأية دولة - بتهدينا على هذا النحو ، دون أن نتخذ إجراء شديد العنف والصرامة ضدها ، وإلا سقطت هيئتنا الدولية ، وضاعت مصداقيتنا كدولة عظمى ، تتزعزع النظام العالمي الجديد .

عقدت مستشارة الأمن القومي كفيها خلف ظهرها ، وهي تقول ، في حزم واضح :

- إنها ليست دولة .

تقطع فيها الرئيس الأمريكي مستكراً ، فتلعت بنفس الحزم :

- وهي ليست منظمة إرهابية أيضاً .

سألها في حدة :

- وكيف يمكنك الحزم ؟

أجابته في سرعة وحزم :

- الدول ستباهي بتفوقها ، والمنظمات الإرهابية لها مطالب سياسية دوماً ، أما خصومنا ، فمطالبهم مالية بالدرجة الأولى .

هتف في غضب :

- وأكثر مما ينبغي .. إنهم يطلبون مائة مليار دولار ! هل تدركين ضخامة المبلغ ؟!

أجابته في برود :

- نعم .. إنه يقارب ما اعتمدته لكونجرس ، كميزانية لحربنا مع (العراق) ، الذي نجحنا في احتلاله ، دون أن نعر فيه على أية أسلحة دمار شامل ، أو

قاطعها في حدة :

- كفى .

ثم تراجع في مقعده ، وراح يحك نكته بضع لحظات ، في توتر بالغ ، قبل أن يشير بيده ، قاتلاً في عصبية :

- كيف يمكنني إقناع لكونجرس ، بالموافقة على مبلغ كهذا ؟!

أجابته في حزم :

- سنفكر في وسيلة ما ، إذا ما اضطرتنا الأمور إلى هذا .

ثم أشارت إلى التلفاز الضخم ، في المكتب البيضاوي^١ ، وهي تضيف في صرامة :

(*) اسم يطلق على حجرة المكتب الخاص برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، نظراً لشكله شبه البيضاوي .

- بعد أن تشاهد ما يمكنهم فعله .

التقى حاجبا الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

- آه .. كنت أنسى أمر مكوك الفضاء .

ضغطت زر إشعال التفلز ، وهى تقول :

- وكيف يمكنك أن تنسى أمرا كهذا ؟!

مطُ شفتيه ، دون أن يجيب ، وتابع المشاهد على الشاشة فى اهتمام بالغ ..

كانت عدسات المصورين تثقل عبور المكوك الفضائى للغلاف الجوى الأرضى ، والنيران الناجمة عن الاحتكاك تحيط به ، وهو يقترب من سطح الأرض ..

ويقترّب ..

ويقترّب ..

و

وفجأة ، دوى الانفجار ..

كان المكوك قد بلغ ارتفاع سبعة كيلومترات ، عن سطح الأرض ، وكل آلات المتابعة تشير إلى أن الأمور تسير على

ما يرام ، عندما انفجر بقعة ، أمام عدسات المصورين ، وعيون المتابعين ..

انفجار هائل ، أضواء السعاع كلها ، وبدأ أشبه بشمس صغيرة ، لثانية أو ثانيتين ، قبل أن تحيط به سحابة دخان هائلة ، وتنتثر شظاياها على مساحة واسعة للغاية ..

ومع الانفجار ، انتفض جسد مستشارة الأمن القومى فى غف ، فى حين احكل الرئيس الأمريكى بحركة حادة ، صقحا :

- مستحيل !

كان المشهد رهيبا بحق ، إلى حد لا يمكن تصويره ..

بل كان كارثة مخيفة ، على أى مقياس ..

مكوك فضائى ثلاثى ، فى لحظات معدودة ، وحلى مثله تسعة من رواد الفضاء ، الذين احتاج إعادتهم إلى سنوات طوال ، من التدريب والتنسيق ، وبرامج رفع الكفاءة ..

كانت كارثة أكثر من رهيبية ..

أكثر بكثير ..

ولثوان ، لم ينبس الرئيس الأمريكى ، أو مستشارة الأمن

القومي ببنت شفة ، وكلاهما يحقن في شاشة التلفاز ، بكل
ذعر وذهول الدنيا ، والمذيع يصرخ في الفعل جارف ،
واصفا ما حدث أمام عينيه ..

ثم فجأة ، هتفت مستشارة الأمن القومي :

- يا للهول !

وهتف الرئيس الأمريكى ، فى الفعل عصبى :

- أريد الاجتماع بوزير الدفاع فوراً ، واظلبى عقد جلسة
سرية عاجلة للكونجرس ، فى أسرع وقت ممكن .

التقى حاجبا مستشارة الأمن ، وهى تقول :

- سأجرى اتصالاً بوزير الدفاع على الفور ، أما بشأن تلك
الجلسة السرية ، فالأفضل أن ننتظر بعض الوقت ، حتى
تتضح الصورة أكثر ، فمزال أملنا سلاح ، لم نلجأ إليه بعد .

سألها فى توتر :

- أى سلاح هذا ؟

قالت فى حزم :

- جهاز المخابرات .

ثم عقدت ساعديها أمام صدرها ، قبل أن تضيق فى
صرامة :

- مخابراتنا .

وكان هذا ينقل الموقف كله إلى أبعاد جديدة ..

أبعاد خطيرة ..

للغاية ..

« لست أصدق نفسى .. »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى مرجح بالغ ، وهو يلوح
بذراعه كلها ، داخل سيارة (منى) ، التى تتطلق بسرعة
مرتفعة نسبياً ، فى طريقها إلى مدينة (فايد) المصرية ،
فأبتسمت (منى) فى هدوء ، قليلة :

- ما الذى لا تصدقه بالضبط ؟

أطلق ضحكة ، صافية قصيرة ، مجيئاً :

- (أدهم صبرى) يحصل على إجازة طويلة ! كم طالبتاه

بهذا ، عندما كانت الأمور تستخدم لفترة طويلة ، وعم كان

يرفض في إصرار مهذب، مؤكداً أنه يجد راحته ومتعته في عمله، وليس العكس.

بدت ابتسامتها باهتة، وهي تقول دون حماس:

- كل شيء يتغير.

التفت إليها (قدري) في اهتمام، وتطلع إليها بضع لحظات في صمت، قبل أن يسألها:

- أنت لا تشعرين بالارتياح تجاه هذا، أليس كذلك؟

صممت جامدة بضع لحظات، قبل أن تومئ برأسها، دون أن تنبس ببنت شفة، فسألها (قدري): في اهتمام أكبر:

- ما الذي يقلقك؟

أجابته في سرعة:

- (أدهم) نفسه.

سألها، وقد تحول اهتمامه إلى قلق واضح:

- ماذا عنه؟

تنهت في صمت، قبل أن تجيب، وهي تبلغ بسيارتها الطريق الرئيسي، الموزني نقاة (السويس)، في (فايد)، ثم تنحرف إلى اليسار:

- لو أنك شاركتهم مهامه، بنفس القدر الذي فعلته أنا، لأفكرت أنه من الصير على مثله، أن يتوقف فجأة عن القتال والصراع من أجل وطنه، ويكتفى بممارسة رياضة الصيد، داخل فيلا صغيرة، على شاطئ القناة.

قال (قدري)، وقد تضاعف قلقه:

- إنها مجرد إجازة.

سألته، وهي تتطرق في ذلك الطريق:

- هل تعتقد هذا حقاً؟

صممت طويلاً هذه المرة، وهو يعتدل في مجلسه، ويشرد ببصره، قبل أن يجيب في حزم:

- كلا.

لم يتبادلا كلمة واحدة إضافية، حتى بلغا تلك الفيلا الأنيقة، ذات البوابة البسيطة، التي تتميز عن غيرها باسم (مصر)، المحفور على إطارها العلوي، وبجدار الممر القصير، الذي يقود إلى شرفتها الأمامية، والذي حمل عنوان العلم، وكأعما يعن صاحبها مصريته، ووطنيته، وزهوه بالانتماء إلى هذا العلم بالتحديد..

ولقد استقبلهما (أدهم) بنفسه ، بائسامة ترحاب كبيرة ، وهو يقول :

- حمداً لله على سلامتكما ، من يصدق أن نلتقي هنا ، دون قتال أو صراع ؟؟

ضعفم (قدرى) :

- نعم .. من يصدق ؟؟

لما (منى) ، فقد صممت لحظة ، ثم قالت فى بطء وحزم :

- أنا عاجزة عن التصديق .

رمقها (أدهم) بنظرة هادئة ، قبل أن يقول :

- ينبغي أن تبذلى جهداً أكبر إنن .

قدحما عبر العمر المصرى ، إلى لثرفة الأمامية ، التى تطلن على مياه القناة مباشرة ، ولم تمض لحظات ، حتى كانت أكواب الشاى الساخن أمامهم ، و (أدهم) يبتسم ، قائلاً :

- من المدهش أننى أمتلك هذه الفيلا الصغيرة ، منذ ما يزيد على السنوات العشر ، ولكننى لم أدرك جمعتها ، إلا منذ يومين فحسب .. إنها هادئة جداً ، وخفيفة الظل ، و ...

« ماذا هناك بالضبط ؟؟ »

قاطعته (منى) بالسؤال فجأة ، فصمتت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى مياه القناة ، فى شرود واضح ، قبل أن يلتفت إليها ، متسائلاً ، فى هدوء شديد :

- وماذا هناك يا (منى) ؟؟

تطلعت إلى وجهه مباشرة ، وهى تقول :

- أنت تجيب عن سؤالى فى هدوء .

نقل (قدرى) بصره بينهما فى صمت ، وهو يتساءل عما تعنيه (منى) ، التى لم تفسح له مجالاً طويلاً للتمسائل ، وهى تستطرد فى حزم :

- هدوء أكثر مما ينبغي .

بدا قوياً ، وهو يتطلع إلى عينيها ، متسائلاً :

- وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟؟

مالت إلى الأمام ، قائلة فى حزم :

- أنك تخفى شيئاً .

سألها بنفس الهدوء :

- مثل ماذا ؟؟

قالت في سرعة :

- أخبرني أنت .

تطلع كلامها إلى عيني الآخر طويلاً ، بعد أن نطقت عبارتها ،
ثم لم يلبث (أدهم) أن قطع حبل الصمت ، قائلاً :

- إنك تحمّلين الأمور ما يفوق طاقتها يا (منى) .

قالت في حزم وثقة :

- كلا ..

ثم علّلت ثميل نحوه ، مستطردة :

- (أدهم) .. أنا أعرفك جيّداً .. وربما أكثر من نفسي ،
ولو أنك لا تخفى شيئاً ، لما شعرت بكل هذا القلق والتوتر
في أعماقي .

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- هل يمكنك قراءة أفكاري ؟

« هذا صحيح .. »

جاء الجواب على لسان (قدي) ، بكل الحزم والصبر ،
قبل أن يتابع في حرارة وصديق :

- مع طول الفترة ، التي قضيتها في جهاز المخابرات ،
لم أر اثنين ، أشد منكما حبّاً لبعضهما ، إلى الحد الذي
تصوّر معه أن روحكما قد امتزجتا ، وصار كل منكما قادراً
على قراءة أفكار ومشاعر الآخر ، دون أن ينبس أيكما
ببنت شقة .

نقل (أدهم) بصره بينهما ، في بظم وصمت ، ثم أدار
عينيه إلى مياه القناة ، وراح يتطلع إليها طويلاً ، وكلامها
يحترق صمته ، ويتطلع إليه في ترقب ، حتى استدار إليهما
قجاةً ، وقال بمنتهى الحزم :

- نعم .. أنا أخفى شيئاً .

ارتفع حاجبا (قدي) في دهشة ، وكأنا لم يكن يتوقع
هذا ، في حين هلت (منى) في حرارة :

- كنت واثقة .

وقبل حتى أن تتم هاتفيها ، كان هو يستطرد ، بصراحة
الدنيا كلها :

- ولن أفصح عنه أبداً .

سأته (منى) ، في سرعة واهتمام :

- حتى لأصدقائك ؟

أجابها بمنتهى الحزم والخسب :

- حتى لأخى نفسه .

انطلقت من أصق أعماقها تهيدة حارة ، وهى تتراجع
فى مقعدها ، قائلة ، فى شيء من الارتياح :

- فهمت .

أدهش أسلوبها وقولها (قدرى) ، الذى تساءل فى
توتر :

- وما الذى فهمته بالضبط ؟؟

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

- الشيء الوحيد ، الذى يمكن أن يمنع (أدهم) ، من
مشاركة أصدق أصدقائه لسهرة .

تساءل (قبرى) فى حذر ، لم يدر هو نفسه سببه بالضبط :

- أى شيء هذا ؟؟

أجابته فى سرعة ، وحزم ، واقتضاب :

- (مصر) .

ولم تكن تحتاج إلى قول المزيد ..

فقد فهم (قبرى) على الفور ما تعنيه ..

فهمه تمامًا ..

نفتت لزجيمة الغامضة لخان سيجارتها الحمراء فى عمق
ويطء ، وهى تراجع كل التقارير ، الواردة من مختلف الجهات ،
قبل أن ترسم على شفتيها ابتسامة ظفيرة كبيرة ، مغمغة :

- عظيم .. كل شيء يسير وفقًا للخطة .. أظننا سنبلغ
الهدف ، فى الموعد المحدد تمامًا .

ابتسم قائد قواتها ، وهو يقول :

- المدهش أنهم لم يتوصلوا حتى الآن ، إلى طبيعة السلاح
الذى نستخدمه .

نفتت لخان سيجارتها فى استمتاع ، وقالت بابتسامة خبيثة :

- اطمئن .. لن يخطر هذا ببالهم قط .. فى هذه المرحلة
على الأقل .

ظلت ابتسامتها محفورة على شفتيها بضع لحظات ، قبل
أن تتلاشى فجأة ، وهى تسأل فى اهتمام صارم :

- هل عرفت أين ذهب مستر (X) ؟؟

بشرت حبارتها بقعة ، دون أى سبب منطقي ، وشردت
ببصرها طويلاً ، وعيناها تتألقان في جذل ، اشترك مع تلك
الابتسامة على شفتيها ، للإحصاء بأنها تجري تعديلات
جوهريّة ، في خطتها الكبيرة المعقّدة ..

تعديلات ضخمة ..

وقوية ..

ورهيبة ..

إلى أقصى حد ..

ولقد استغرقها ذلك الشرود لحظات ، قبل أن تقول فجأة ،
وهي تلوح بسبابتها في الهواء :

- وسيلة إعلان الهدف الرابع نفسها ، لا بد أن تكون
قوية ومؤثرة ، و

وصممت لحظة ، قبل أن تضيق :

- ومؤثرة للغاية .

قللتها ، وأطلقت ضحكة عابثة جديدة ، يفهمها فقد قواتها
جيداً ، لذا فقد اعتدل في وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يقول :
- أوامرك أيتها الزعيمة .

أشعلت سيجارة حمراء جديدة ، وهي تقول :

- استمع إلى جيداً ، ونفذ ما سأمرّك به بالحرف الواحد ،
ودون مناقشة .

ولأن الرجل يثق بعقليتها ثقة عمياء ، فقد استمع
إليها ، وأنصت لتحديثها بكياته كله ..

والتوقع أن تعديلات الجوهريّة ، لنسأجرتها في خطتها ،
كانت بالفعل رهيبة ..

رهيبة ومؤثرة ..

للفتنة ..



٤ - أوراق مكشوفة ..

راجع رئيس الجمهورية ، فى اهتمام واضح ، ذلك التقرير
الواقى ، الذى قُتِعه له مدير المخابرات العامة ، قبل أن يرفع
عنه إليه ، قائلًا :

- إذن فالأمريكيون يطلبون معرفة موقف العميد (أدهم
صبرى) فى الوقت الحالى .

أوما مدير المخابرات برأسه ، وهو يقول :

- لقد أدركوا أن ما فعلناه هو نوع من العفارة بامسيادة
الرئيس ، مما ضاعف من غضبهم ، ودفعهم إلى مطاقتنا بتحديد
موقفه الحالى بالضبط ، وموقفنا من عرضهم ، وفى برقيتهم
الأخيرة ، منحونا أسبوعًا واحدًا لحسم الموقف ، وإلا فسيتخذون
إجراءات عنيفة ضدها .

هتف الرئيس ، فى غضب مستنكر :

- إجراءات عنيفة ؟! أى أسلوب وقع هذا ؟!

قال مدير المخابرات فى هدوء :

- الأسلوب الذى تميّزت به الإدارة الأمريكية الحالية بامسيادة
الرئيس .. تجاريهم وخبراتهم السياسية محدودة ، ولديهم

زهو شديد ، بما تحت أيديهم من أسلحة وقوة ، ويندفعون
لاستخدامها ، أو للتلويح باستخدامها ، فى كل مواجهة مع
الآخرين ، حتى ولو لم تكن تستحق هذا .

وظفه الرئيس بإيماءة من رأسه ، قائلًا :

- لن ينسى لهم التاريخ أبدًا موقفهم غير القانونى ،
وغير الشرعى ، وغير الأخلاقى أيضًا ، تجاه مشكلة
(العراق) ؛ فقد ضربوا عرض الحائط بكل المؤسسات
القانونية الدولية ، وكل الأعراف والمبادئ ، وتجاهلوا
احتياجات شعوب العالم .. بل وشعوبهم أيضًا ، وأطلقوا
مجموعة من الأكاذيب المفضوحة ، والادعاءات السخيفة ،
لتبرير اندفاعهم لاحتلال أراضى الغير بالقوة ، على الرغم
من مخالفة هذا لكل المبادئ الدولية ..

قال مدير المخابرات فى حسم :

- هذا اتجاه إلى عسكرة الحضارة بامسيادة الرئيس ،
والتاريخ يؤكد أن كل الحضارات الضخمة ، التى تفوقت
على كل جيرانها ذات يوم ، قد بدأت رحلة الانحدار
والانهيار ، عندما أخذها زهو القوة ، ونالت منها غطرسة
التفوق ، وقررت أن تهاجم كل من حولها ، وتحتل أراضيهم

هاتف عضو قديم آخر ، من حزب معارض :

- مستحيل ! لن نوافق على مبلغ كهذا ، دون أدلة كافية ؛
للتقديمه إلى مقرر .

صاحت به مستشارة الأمن :

- إنكم ستوافقون على اعتماد المبلغ ، حفاظاً على هيبه
(أمريكا) ، وليس من أجل ..

« دعيتي أساعدك على إقناعهم .. » ..

تطلق الصوت بغتة ، من خلف ظهر مستشارة الأمن
القومي ، في نفس اللحظة التي أضللت فيها تلك الشائسة
الكبيرة ، التي تستخدم لعرض مشروعات الحكومة ، فاستدورت كل
العيون إليها بحركة واحدة ، واتخذت حاجباً مستشارة الأمن
القومي في شدة ، وانطلقت بعض الشهقات من الحاضرين ،
في حين هاتف الرئيس الأمريكي ، بكل عصبية الدنيا :

- يالله

لم يتم عبارته ، ولكنه حثي كالآخرين في صورة تلك
المرأة الغائسة ، التي بنت على الشائسة ، وهي تمسك
سيجارتها الحمراء في أنفة ، وتلفت دختها في عمق ،

وعلى شفيتها ابتسامة ساخرة مخيفة ، وصوتها العالي
يقول متابعاً :

- فهؤلاء السيناتورات ضيقو العقول ، ويحتاجون إلى
وسيلة إقناع قوية .

امتلات نفس مستشارة الأمن القومي بالغضب ، فتهتفت
برئيس طاقم أمنها ، وهي تقول في عصبية :

- هذا البث يتم من داخل مبنى الكونجرس ؛ فهذه الشائسة
ترتبط بدائرة مغلقة .. انتشروا في المكان ، وراجعوا
خريطة شبكة البث ، و

قلمها الصوت على الشائسة بغتة ، وصاحبتة تقول ساخرة :

- لا تشغلي نفسك كثيراً يا عزيزتي ، بالبحث عن نقطة
البث ، فما تريه أمامك مجرد شريط مسجل ، يتم بثه من
النقطة (6F - W) ، ولقد تم تلقيم شبكة البث ، بحيث
تتفجر كلها ، مع كل ما يحيط بها ، عند أية محاولة لإيقاف
البث ، أو اقتراع الشريط .

ثم هزت كتفها في استهتار ، ونفثت دخان سيجارتها في
عمق ، قبل أن تتابع ، بنفس اللهجة الساخرة :

- ليس أمامكم إذن سوى الاستماع إلى ما أقول .

وتبكت لهجتها بفتة ؛ لتحمل قدراً مخيفاً من الصرامة والوحشية ، وهي تضيف في شراسة :

« والخضوع لما أمركم به .

اتسعت العيون كلها في ارتياح مذعور ، ولكن أحداً لم ينبس ببنت شفة ، في حين غمغت مستشارة الأمن القومي في غضب :

« هناك جاسوس في المبنى .

ثم استدارت إلى قائد فريق أمنها ، مستطردة :

« نذك الشريط المسجل ميمحو نفسه بالتأكيد ، في نهاية العرض ، وإلا لما ظهرت هذه الحقيرة أمامنا بوجه عل هكذا .. لذا أريد منكم أن تنتظروا صورها عن هذه الشئثة ، وترسلوها فوراً إلى المخابرات المركزية ؛ لتحديد هوية المرأة .

مع قولها هذا ، كانت الزعيمة تكمل ، على شاشة العرض :

« الأهداف التي تم تدميرها ، حتى هذه اللحظة ، كانت مجرد وسيلة لتقسيم أنفسنا إليكم .. إلى الحكومة ، والمسؤولين العسكريين ، والسياسيين .. أما الأهداف القادمة فستنقسم إلى قسمين .

توقفت لتنتفخ دخان سيجارتها في بطء متعمد ، قبل أن تتابع :

« فلكي أساعدكم على اتخاذ القرار ، دون جدل عقيم ، أو مناقشات طويلة ، لاطل منيها ، قررت أن أمنحكم ثمانى وأربعين ساعة فحسب ؛ لإعلان موافقتكم على دفع المبلغ المطلوب ، والموافقة على كل شروط تسليمه ، وبعدها يثنائية واحدة ، سيتم نصف هدفين أساسيين : تمثال (أبراهام لينكولن)^(*) في (واشنطن) ، وتمثال الحرية في (نيويورك) .

شقق الأعضاء في رعب ، مع ذكر الهنقيين القادمين ، اللذين يعتبرهما الجميع رمزاً للولايات المتحدة الأمريكية ، واتسعت عيون الرئيس الأمريكي في ارتياح ، وهو يتخيل الموقف ، وتأثيره الرهيب على عملية إعادة انتخابه ، في حين غمغت مستشارة الأمن القومي في حدة :

« لا بد أن نظفر بهذه الحقيرة .. لا بد .

(*) أبراهام لينكولن (١٨٠٩ - ١٨٦٥ م) : رئيس السادس عشر ، للولايات المتحدة الأمريكية ، نظم نفسه طرق حياته ، ومارس المحاماة لبعض الوقت ، أصبح رئيساً في عام ١٨٦٠ م ، وارتبط اسمه بالحرب الأهلية ، وإلغاء العبودية والرق ، ويعتبر رمزاً للعدالة ، في تاريخ (أمريكا) كله .

أما الزعيمة ، فقد استطردت في لهجة توحى بالعبث والاستمتاع :

- أعلم أن هذا سيخرجكم بالطبع ، أمام الشعب الأمريكي كله ، ولكنها مجرد البداية ، قبعد اثنتى عشرة ساعة فحسب ، ولو استمر عنادكم ورفضكم ، سأرفع عدد الأهداف إلى ثلاثة ، وسأزيل من الوجود ، في لحظة واحدة ، البيت الأبيض ، ومبنى البنتاجون^(*) ، ومبنى المخابرات المركزية في (لاجلى) بولاية (فرجينيا) .

شجبت الوجوه بشدة ، مع تهديدها الأخير ، وشهق الرئيس الأمريكى ، وهو يهتف :

- البيت الأبيض !! مستحيل !

ومع قوله ، كانت الزعيمة تطلق ضحكة طويلة عابثة ، على شاشة العرض ، وكأنها تستمتع بكل حرفا نطقت به ، ثم ألقت سيجارتها ، ذات اللون الأحمر المستقر جانباً ، في استهتار واضح ، وهي تقول :

- وتوفيراً لوقتكم الثمين ، وحتى لا يضيع الكل وقتهم ، في فحص الشريط ، والسعى لتحديد هويتى ، دعونى أخبركم بكل التوضوح ، أن اسمى هو (لوراكينلمان) ، وليست (*) البنتاجون : مبنى وزارة الدفاع الأمريكية .

لديكم أية ملفات سابقة عنى ، ولكم ستعثرون حتماً على كل البيانات ، التى ذكرتها فى طلب تأشيرة الدخول إلى أرضكم الطليقة ، التى تمنح المرأة فرصة مذهلة للهو والتعيز .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة ، خملت رنة وحشية مخيفة ، تجذبت لها النساء ، فى عروق الجميع ، وهى تنهض من مقعدها الوثير ، وتهتم بالابتعاد عن مجال الرؤية ، و

« مهلاً .. »

تطفتها الزعيمة على الشاشة فجأة ، قبل أن تعود إلى مجال الرؤية ، مشيرة ببنائها ، وهي تكمل :

- مازال هناك أمر ، لم أذكره بعد .. ففى حالة موافقتكم على تنفيذ مطالبى ، واعتمادكم للمبلغ المتواضع ، الذى ستباعدون به كرامتكم وهيبتكم ، وهو ما لا أشك فيه لحظة واحدة ، سيكون لى شرط أخير .. شرط لن أتنازل عنه أبداً .

وأمام عيون الجميع ، وكنت سمعهم وبصرهم ، ألقت الزعيمة شرطها الأخير ..

ولم يستوعب أعضاء الكونجرس ما الذى يمكن أن يعنيه هذا !!

ولكن الرئيس ، ومستشارته الأمنية ، ووزير دفاعه ، ومدير المخابرات المركزية الأمريكية استوعبوا الأمر ..

استوعبوه ، وأدركوا أن تلك الزعيمة الغامضة قد تعادت بالفعل ..

وإلى أقصى حد ممكن .



٥ - انقلاب ..

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الساعة صباحاً ، بدقة أو دقيقتين ، عندما وصلت سيارة مدير المخابرات العامة المصرية ، إلى مقر رئاسة الجمهورية ، وغادرها المدير على عجل ، متجهاً إلى مكتب الرئيس مباشرة ، ولم يكذب يدلف إليه ، حتى اقتبه إلى رجل أجنبى الملامح ، أثيق العليس ، واضح التوتر ، قدمه إليه الرئيس ، قائلاً بلهجة خاصة ، يدرك كلاهما مغزاها جيداً :

- (آلان راكويل) .. من المخابرات المركزية الأمريكية .

صافح مدير المخابرات ذلك الأمريكى ، فى تحفظ واضح ، وهو يتسائل :

- ترى ما سر هذه الزيارة المفاجئة .. والمبكرة جداً ؟

قال الأمريكى - وتوتره ينعكس على صوته فى وضوح :

- نحن نعلم أن سيادة الرئيس يبدأ يومه مبكراً جداً .

سأله المدير فى برود :

- وهل أخبرتكم تقاريركم ، أن سيادة الرئيس يميل إلى الزيارات المفاجئة أيضاً ؟

ابتسم الرئيس ، عندما احتقن وجه الأمريكي ، وقال في عصبية :

- يقولون في عينيكم : إن الضرورات تبيح المحظورات .

هم المدير بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الرئيس أشار بيده ، قائلاً بالإنجليزية :

- السيد (راكويل) هنا ، بشأن العميد (أدهم) .

اعتقد حاجبا المدير ، وهو يقول بالإنجليزية في صرامة :

- لقد أرسلنا إليكم ردًا رسميًا ، في هذا الشأن .

بدأ غضب عصبى ، على وجه الأمريكي ، في حين تراجع الرئيس في مقعده باسترخاء ، قائلاً :

- السيد (راكويل) هنا لسبب آخر تمامًا ، خلاف ما جاء زميله من أجله فيمَا مضى .

أطلق التساؤل من عيني مدير المخابرات ، فجفأ الأمريكي عرقاً وهمياً عن جبهته ، قبل أن يقول في عصبية :

- إننا نريد رجلكم (أدهم صبرى) .

لم يفهم المدير ما يعنيه هذا ، فتساءل في حذر :

- تريدونه ؟ ما الذى تعنيه بقولك هذا بالضبط ؟

روايات مصرية للجبب .. رجل المستحيل

اتسعت ابتسامة الرئيس ، وهو يقول :

- الأمريكيون يطلبون مساعدة رجلنا ، العميد (أدهم صبرى) ، بشأن مشكلة يعانونها .

تفجرت الدهشة في كيان المدير ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى بدأ مزهواً إلى حد ما ، وهو يشير بيده ، مستطرداً :

- السيد (راكويل) يرفض الإطصاح عن طبيعة المشكلة ، ولكنه يؤكد أنه ما من سبيل إلى حلها ، سوى الاستعانة بـرجلنا .

غمغم المدير ، وهو يخفى دهشته العارمة في أعماقه :

... حقاً ؟

ثم استعاد رصافته وحزمه بسرعة ، مع استطرادته ، وهو يعتقد ساعديه أمام صدره في حزم :

- لو أنكم تواجهون مشكلة ما ، تحتاج إلى تعاوننا ، فعليناكم طلب هذا رسمياً ، وعلى نحو تنظيمى صحيح ، فكل ما يمكنكم طلبه هو تعاون المخابرات المصرية ، وعطينا نحن أن نقرر ، من من رجالنا يصلح للمهمة ، و...

قاطعته الأمريكى في عصبية :

- لن يصلح لهذه المهمة سوى رجلكم (أدهم صبرى) .

أجابته المدير في سرعة :

- ونحن نعتذر عن إعارتكم إياه ، فنظمتنا وقواتنا تملح خروج أحد رجالنا ، في مهمة خارج الحدود ؛ لحساب أية دولة أخرى ، وخاصة عندما يحيط الغموض بتفاصيل تلك المهمة ؛ أو مدتها ، أو الهدف منها .

تضاعفت عصبية الأمريكي ، وهو يقول :

- ولكن أوامري تمنع ذلك ...

قاطعه الرئيس هذه المرة ، بمنتهى الحزم والصرامة :

- لقد سمعت ما قاله مدير جهاز المخابرات العامة .. وهذا ردنا النهائي .. إما أن نعزم لمبدأ توريدون الاستعانة برجلنا ، أو تعود إلى وطنك برد سلبى حاسم .

بدت الحيرة واضحة ، على كل خلجة من خلجات رجل المخابرات الأمريكي ، الذى تلفت حوله فى عصبية ، وغمر العرق البارد وجهه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- لا بد لى من الاتصال بروستلى أولاً .

أشار الرئيس إلى هاتفه الخاص ، قائلاً :

- ومن منعك من هذا ١٧

جفف الأمريكى عرقه الغزير ، بكل توتر الدنيا ، وهو يلتقط سماعة هاتف الرئيس ، قائلاً :

- مخدرة .. لست مخولاً لاتخاذ القرارات ، على هذا المستوى ..

لم يستغرق حديثه مع رؤسائه سوى دقائق قليلة ، على نحو يوحى بأنهم كانوا يتوقعون هذا الموقف العسرى ، بدليل أنه لم يكذب ينهي المحادثة ، حتى التفت إلى الرئيس ومدير مخابراته ، قائلاً :

- الرؤساء وافقوا على إطلاعكم على كل شيء ليها المسادة ، ويناشدوكم الإبقاء على الأمر سرّاً ، وطناً للكتمان التام .

مصطلح (يناشدوكم) هذا ، كان يوضح تعامساً لاختلاف الموقف الأمريكى ، واتقلابه رأساً على عقب ، لذا فقد أشار الرئيس بيده ، وهو يقول فى حسم :

- لكم هذا .

وهنا ، تتلحج مندوب المخابرات الأمريكية ، وبدأ يروى للرئيس ومدير مخابراته كل شيء ..

بكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

« كم أبغض هؤلاء العرب .. »

نطقت مستشارة الأمن القومى الأمريكية العبارة ، بلهجة حملت كل مقت الدنيا ، وهى تقف داخل المكتب البيضاوى للرئيس الأمريكى ، فى قلب البيت الأبيض ، فلوح وزير الدفاع بيده ، وهو يقول فى حدة :

- ليس هذا وقت إفرار المشاعر الشخصية .. كل دقيقة لها ثمنها الآن ، وليس من حقنا أن ننشغل بأمر شخصية ، والوقت يعنى على هذا النحو .

مطت مستشارة الأمن شفيتها فى مقت ، وهى تقول :

- ولكنها الحقيقة .. أنا أبغضهم بشدة ، منذ .. منذ ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فقال مدير المخابرات ، فى غضب صارم :

- دعنى أخبرك أنا منذ ماذا ! منذ هذلك عربى ، وقعت فى غرامه ، فى أثناء فترة دراستك الجامعية .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تهتف :

- إننى لم ألق أبداً فى ...

قاطعها مدير المخابرات فى حدة :

- لمن الضرورى أن أخبرك باسمه ، وجنسيته ، والوظيفة التى يشغلها فى دولته حالياً ؟

عضت شفتها السفلى فى غضب ، قبل أن تقول :

- كلاً .. ليس من الضرورى أن تفعل .

هتف الرئيس الأمريكى فى حدة :

- كيف بدأنم هذا الحديث السخيف ؟! ما شأن بغضك للعرب ، بما نواجهه الآن ؟؟

لوحث بذراعها ، قلقة :

- تلك الحقيرة اشترطت أن يكون ذلك العصرى ، الذى أنذرنا دولته بضرورة التخلص منه ، هو المفاوض الرئيسى ، فى العملية كلها ، مما اضطرنا إلى الانحناء أمام المصريين ، والسعى للاستعانة برجلهم ، الذى أذل ناصية أصدقائنا الإسرائيليين .

قال الرئيس فى غضب :

- ونحن مضطرون لقبول شرطها ، كما اضطررنا للموافقة على دفع مائة مليار دولار لتلك الحقيرة ، حتى لا تسقط هيبتنا أمام العالم كله .. وهل تعرفين لماذا اضطررنا إلى

هذا وذلك ؟ لأن أجهزة الأمن هنا تمتلك شهرة ، تفوق قدراتها الطبيعية والفعلية ، حتى إنها عجزت تمامًا عن كشف هوية تلك المبتزة ، وموقعها ، وطبيعة السلاح الذي تستخدمه ، ووسيلتها في استخدامه .. وما لمنا نفكر إلى المعلومات ، على هذا النحو المخزي ، فليس أماننا سوى الاستسلام خفية ، حتى لا تضطر إلى الاستسلام علانية في المستقبل القريب .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول في توتر :

- إننا نواجه محترفين يا سيادة الرئيس .

صاح به الرئيس الأمريكي :

- كنت أظنكم أيضًا محترفين يا هذا .

شد مدير المخابرات قامته في توتر ، وهو يقول :

- رجالي يعملون ليل نهار يا سيادة الرئيس ، وبعضهم لم يبق النوم ، منذ أكثر من يومين .

سأله وزير الدفاع في عصبية :

- وما الذي توصّلوا إليه ، بعد كل هذا ؟

أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- أنها كاذبة محترفة .

هاتف الرئيس الأمريكي ، في لهجة استنكارية :

- كاذبة ؟! أهذا كل شيء ؟!

حاول مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يتجاوز عبارة الرئيس ، وهو يواصل ، قائلًا :

- ربما تكون قد دخلت إلى البلاد ، منتحلة شخصية (لورا كيلرمان) بالفعل ، فقد عثرنا على بيئات هذه الأخيرة لدينا ، ولكنها حتمًا ليست هي ، فخيرأونا يؤكدون أنها ترتدى قناعًا مطاطيًا بالغ الرقة ، وشديد الإثقان ، وأنها تعتمد إخفاء شخصيتها الحقيقية لسبب ما ، هو أنها - على الأرجح - شخصية معروفة ، في عالم الجريمة ، أو عالم الجاسوسية .

سأله وزير الدفاع في اهتمام :

- هل يتبقى خبراؤك بهذا الرأي ؟

واصل مدير المخابرات ، وكأنه لم يسمع السؤال :

- أما قصة شريط الفيديو ، الذي سينسف شبكة البث الداخلية ، لو تم إيقافه أو التزاعه ، فهي كاذبة وملفقة من أساسها ، ولكنها شديدة البراعة ، إلى حد مذهل ..

قلبت مستشارة الأمن القومي شفتيها ، قلقة في امتعاض :

- كاذبة ، ومثقة ، وشديدة البراعة ؟! أى قول مريض هذا ؟!

رمقها مدير المخابرات بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- ما رأيتموه وتابعتموه ، على شاشة العرض ، فى قاعة اجتماعات الكونجرس ، لم يكن شريطاً مسجلاً .

تسعت عيننا الرئيس الأمريكى ، وفقرقاه على نحو عجيب ، فى حين وثب وزير الدفاع من مقعده ، هاتفا :

- لم يكن ماذا ؟!

أما مستشارة الأمن القومي ، فقد القلبت سحنتها فى غضب ، وهى تهتف فى حدة :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟!

أجابها فى صرامة :

- ما رأيتموه كان بثاً مباشراً .

ثم قسا صوته ، وهو يضيف :

- من داخل مبنى الكونجرس نفسه .

بدا قوله هذا أنمبه بصاعقة ، هوت على رعوس الجميع ، فتسعت عيونهم عن آخرها ، وحذقوا فى وجه مدير المخابرات فى ذهول ، قبل أن تهتف مستشارة الأمن القومي فى حدة :

- هناك جاسوس فى المبنى .

أجابها مدير المخابرات فى حزم :

- الأمر أكثر من مجرد جاسوس ، فأجهزة الفحص الإلكترونية لم تسجل دخولها ، ومراقب البث الرقعى لم يدرك وجود بث حى ، والحجرة التى تم البث منها ، لم تعمل آلات المراقبة فيها ..

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يتابع :

- باختصار .. كانت هناك سيطرة إلكترونية تامة على المبنى ، ولقد أبعدت هى نظرتنا عنها ، عندما أوهمتنا بأننا نشاهد شريطاً مسجلاً .

اندفعت مستشارة الأمن القومي نحوه بغثة ، وأمسكت ساعده فى قوة ، حتى كادت أصابعها تغوص فى لحمه . وهى تهتف :

- لابد أن نظفر بهذه اللعينة .. هل تفهم ؟!

أزاح الرجل يدها بحركة حادة ، وهو يقول :

- وكيف أيتها البارعة ؟

صاحت في حلق :

- ابحث عن وسيلة .. أية وسيلة !

قال في غضب :

- وما الذي نطلبه نفعه ؟

صاحت :

- لئلا كان ما تفعلونه ، فينبغي أن تضاعفوه ، وإلا استيقظنا
ذات صباح ؛ لتجد أن تلك القفيرة قد سيطرت على مقاليد الأمور .

هزّ مدير المخابرات رأسه في قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! إنها تحصل على ما تريد ؛ لأنها تدفعنا إلى
التهات فحسب ، بحيث لا تجد الوقت الكافي ؛ للسعي خلفها ،
ومحاصرتها بمعلوماتنا وتحركاتنا ، ولكننا سنملحها المال ؛
لتزيج بعض الوقت ، الذي سنستقله في معرفة هويتها ، وجمع
كافة المعلومات عنها . بحيث ننقض عليها في الوقت
المناسب ؛ قبل أن تستمتع بما ستحصل عليه منا .

سأله الرئيس فجأة :

- السؤال هو : كيف ستحصل عليه منا ؟

استدار الجميع إليه ، غير مستوعبين طبيعة سؤاله ،
فاستطرد في توتر ملحوظ :

- هل تخيل أحدكم حجم الفراغ ، الذي يمكن أن يحتله
مائة مليار دولار ؟

غشم وزير الدفاع ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

- أظنها تحتاج إلى حجرة كهذه .

أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- هذا لو طلبتهم نقداً .

سأله مستشارة الأمن في عصبية :

- ماذا تعني ؟

أجابه بنفس السرعة :

- أعني أنها محترفة ، وتترك جيداً أن النقاد يمكن تتبعها
بأية وسيلة ، لذا فلن نطلب الحصول على المبلغ أيضاً ، في
شكل أوراق نقدية .

سأله الوزير في اهتمام :

- كيف ستحصل عليه إذن ؟؟

أشار مدير المخابرات بسبأته ، مجيباً :

- من الناحية الاحترافية للبحث ، لا يوجد أفضل من العاس .

اعتدل الرئيس في مقعده ، متسائلاً في اهتمام بالغ :

- حقاً ؟؟

أجابته مدير المخابرات في حزم :

- العاس تنقى صغير الحجم ، باهظ الثمن ، وحفنة واحدة منه ، قد تساوي ملايين الدولارات ، أي أن حقيبة من العاس شديد الثغارة ، قد تساوي المبلغ كله .

بدأت مستشارة الأمن القومي شديدة الانفعال ، وهي تقول :

- حقيبة واحدة ؟؟

أوماً مدير المخابرات برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. حقيبة بسيطة ، لا تلفت الانتباه إليها أبداً ، في مكان مزدهم برجال الأعمال ، مثل (وول ستريت) .

صغت الجميع تماماً ، بعد عبارته الأخيرة ، وتبادلوا

نظرة طويلة ، قبل أن تقول مستشارة الأمن القومي في صرامة :

- لو أن هذا هو الحل الاحترافي الوحيد ، فلم لا نستعد لمواجهته بالفعل ؟؟

سألها مدير المخابرات في اهتمام :

- وكيف هذا ؟؟

أجابته في توتر :

- بأن تعدّ الحقيبة على الأقل ، ونزودها بجهاز تعقب إلكترونى ، و...

قاطعتها مدير المخابرات ، قائلاً :

- هراء .

استدارت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكنه تجاهل انفعالها تماماً ، وهو يقول :

- استخدام حقيبة مزودة بجهاز تتبع ، مع امرأة نجحت في السيطرة على النظام الأمنى الإلكتروني ، بالغ الدقة والحدثة في التكنولوجيا ، أشبه بمحاولة الانتحار بسيف صدى .. كثير من الأثم ، وقليل من التأثير .

قالت المستشارة في حلق :

- وما الذي تفتكره أنت إذن ، يا عبقري العباقرة ؟!

أشار مدير المخابرات بسبابته ، وهو يجيب في سرعة :

- القمر الصناعي .

تألفت عينا مستشارة الأمن ، وهي تهتف :

- آه .. بالطبع .. كيف تسمينا هذا ؟! إننا نستطيع تتبع
خط سير حقيبة العاص ، بواسطة أقمارنا الصناعية
للتجسس .. إنها قادرة على تحديد لون الملابس الدخلية
لأي شخص ، في أي مكان في العالم ، و... (*)

قاطعها مدير المخابرات ، في سخرية متعمدة :

- وهل صدقت هذه الدعاية ، يا مستشارة الأمن القومي
البارعة ؟! المفترض منها أن ترهب خصومنا ، لأن
نصدقها نحن .

عاد وجه مستشارة الأمن يحتلن ، وهي تهتف :

- أيها الـ ...

(*) قبل حرب (العراق) الثانية ، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية ،
أن أقمارها الصناعية للتجسس ، قادرة على معرفة لون الملابس الدخلية
لرئيس العراقي ، وفي أثناء الحرب فشلت حتى في العثور على الرئيس نفسه .

قاطعها الرئيس الأمريكي ، وهو يضرب سطح مكتبه
براحته ، ويهبط من مقعده بحركة حادة :

- كفى .

صمت الجميع ، والتفتوا إليه في توتر ، فتابع في
غضب :

- أشعر وكأنني في حجرة ، تضم بعض أطفال مرحلة
العضانة ، وليس كبار المسؤولين في الدولة !! إنكم
تتشاجرون وتتشاجنون ، حول تفاهات سخيفة ، في الوقت
الذي تواجه فيه البلاد أخطر كارثة ، في تاريخها كله .

احتلن وجه وزير الدفاع ، وعقدت مستشارة الأمن
حاجبها في توتر ، في حين ارتبك مدير المخابرات
المركزية ، وهو يقول :

- مغررة يا سيادة الرئيس .. لم تكن نتشاجن في الواقع ،
ولكنني كنت أطرح اقتراحاً خاصاً بالأقمار الصناعية ،

... و

بقر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن
يحتلن وجهه ، ويهتف بكل الفعل الدلّيا :

- سيادة الرئيس .. لقد عرفت ماهية السلاح ، الذي تستخدمه

خصمنا ، لتوجيه ضرباتها الساحقة .. يا إلهي ! لقد عرفته بالفعل .

وكانت مفاجأة حقيقية للجميع ..

مفاجأة قوية ، وعنيفة ..

للغاية .



٦ - الرحلة العجيبة ..

« ما أروع الحياة هنا ! »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى استمتاع كبير ، وهو يسترخى على مقعد شاطئ وثير ، أمام مياه القناة ، ويلتهم شطيرة ساخنة ، وإلى جواره طبق يمتلئ بالشطوطر المعاملة ، وزجاجة مياه غازية ضخمة ، من الطراز المخصص للاستخدام العائلى ، ثم التقط نفساً عميقاً ، ارتفع معه كرشه الضخم ، فريبت عليه فى رفق ، مستطرذاً فى حرارة :

- لست أرى لماذا لم تدعنا إلى هنا من قبل يا (أدهم) ،
ما دمت تمتلك المكان منذ ما يقرب من عشر سنوات ،
كما تقول ؟؟

كان يتوقع ردًا على تساؤله ، إلا أن (أدهم) لم ينبس
ببنت شفة ، وهو يجلس على مقعد مجاور له ، متطلعاً إلى
مياه القناة ، فى شرود عجيب ، فاعتدل يسأله مرة أخرى :

- (أدهم) .. هل ..

أمسكت (منى) يده فجأة ، ل تمنعه من الاستطراد ، وهى
تقول فى خفوت ، حمل قدراً ملحوظاً من الحزم :

- اصمت يا (قدرى) .

التفت إليها (قدرى) فى دهشة ، فتابعت بحزم أكبر :
.. اتركه لحاله الآن .

لاذ الاثنان بالصمت التام ، وهما يراقبان (أدهم) ، الذى
بدا وكأنه قد انفصل تمامًا عما حوله ، وغرق بكيانه كله فى
لجة من الأفكار ، وعيناه تنطلقان إلى مياه القناة ، فى
صمت شارد عميق ..

ولقد طال صمته ..

وطال ..

وطال ..

ولكن أحدهما لم ينبس ببنت شفة ..

كلاهما راح يراقبه ، فى اهتمام معزج بالقلق والتعاطف ،
وكأنهما لم يرياه أبدًا على هذا النحو ..

(منى) بالذات ، كان قلبها ينفطر من أجله ..

كان يتعذب ..

ويتألم ..

ويبكي ..

وعبر جسدها كله ، انطلقت دموع قلبها تسرى فى
عروقها ، وتلتهب معها كل خلية من خلاياها ، حتى تمنى
لو أنها تستطيع أن تنقل كل أحزانه وأتراسه إليها ، لتراه
مبتسمًا حيويًا ، كما عهدته دائمًا ..

فلمنذ استضافتهما فى فيلته الصغيرة ، وعلى الرغم من
اهتمامه البالغ ، بتوفير كل سبل التمتع والراحة لهما ، ومن
أحاديثهما الطويلة ، التى كانت تستمر فى بعض الأحيان ،
حتى مطلع الفجر ، أو حتى يرتفع شخير (قدرى) ، ليطلق
على كل ما حوله ، كانت تشعر أنها لا تجلس مع (أدهم
صبرى) الذى تعرفه ..

ليس مع ذلك الرجل ، الذى تتفجر الحماسة دومًا من كل
خلية فى جسده ، وتتألق الحيوية طوال الوقت ، وهى تطلن
من عينيه ..

ليس ذلك البطل ، الذى ظلت مبهورة به ، طوال فترة
عملها كلها معه ..

إبه الآن شخص آخر ..

شخص تبتسم شفتاه ، على الرغم من محيط الحزن
والأسى ، الذى يفيض من عينيه ..

شخص يحمل هموم الدنيا كلها في صدره ..

في عقله ..

في قلبه ..

وفي كيانه كله ..

ومن الواضح أنه يخلى في أعماقه سرّاً كبيراً ..

سرّاً يتعلق بمشوقته الأولى ..

(مصر) ..

سرّاً يرفض الإفصاح عنه ، حتى لها أول (قدرى) ..

ويا له من سر !

رباه ! كم تحبه !

كم تتعذب وتتمزق من أجله !

كم تتعنى لو تمنحه سعادة الدنيا كلها ، حتى تمحو من

قلبه كل ما ينوء به من عذابات وأحزان ..

وبكل حب وحنان وأسى ولوعة الدنيا ، تطلعت إليه في

صمت ، وقلبتها بخفى من أجله ..

ويخفى ..

ويخفى ..

و....

« هل تعلمون كم مرة عبرت فيها مياه هذه القناة ؟! »

نطقها (أدهم) فجأة ، وهو يواصل التطلع إلى مياه
القناة ، فالتفّض جسد (منى) ، وكأنه قد انتزعها من سبات
عميق ، في حين تعامل (قدرى) ، في اهتمام حقيقى :

- كم ؟!

هزّ (أدهم) رأسه في بضع ، واستدار إليهما بإبتسامة
عادنة ، لم تتجح في محو الحزن المطلق من عينيه ، وهو
يقول :

- أنا نفسى أجهل العدد الصحيح ، فقد كنت عابراً أساسياً ،
في كل العمليات التى قامت بها وحدات الصاعقة ، قبيل
حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .. كنا نغير القناة ، تحت جنح الظلام ،
ونوجه إلى العدو ضربات عنيفة قاصصة ، فنهدم وحداته ،
ونلسف مخازن ذخيرته ، ونقطع خطوط مواصلاته ، ثم
نعود إلى وحداتنا ، قبل مطلع الفجر .

حملت كلماته لمحة مذهشة ، توحى بأنه يستعيد ذكرى
سعيدة ، على الرغم من الحزن ، الذى لم يبارق عينيه أبداً ،
فغمقت (منى) :

- أظنها كانت أفضل أيامك .

تطَّلِعُ إلى عَيْنَيْهَا بضع لحظات في صمت ، قبل أن يهز
رأسه في بضع ، مجيئاً بصوت دافئ حنون :

— كلاً .

ثم مال نحوها ، والتقط أصابعها الرقيقة في راحته ،
وهو يضيف ، بصوت أكثر دفئاً وحذراً :

— أفضل أيامي على الإطلاق ، تلك التي عملنا فيها معاً .

ارتفع حاجبا (قدرى) في تأثر ، وبداه له أنه سيفجر
باكياً ، فأشاح بوجهه ، في محاولة لكتمان دموعه ، التي
تقاتل في استمالة : للالتفات من عليه ، في حين سرت
قشعريرة دافئة عجيبة ، في جسد (منى) كله ، وهي تهتف
بصوت ارتجفت نبراته :

— (أدهم) .

مال نحوها أكثر ، وهو يقول :

— (منى) .. لقد أضعنا الكثير من الوقت ، واتهمنا المتاعب ،
التي لم نتوقف عن وضع نفسها في طريقنا ، منذ زمن
طويل ، حتى نسينا أنفسنا .

سرت ارتجافة خافتة في جسدها ، وخلق قلبها بين

ضلوها في قوة ، وارتفعت الدماء إلى وجنتيها ، وحاولت
أن تقول شيئاً ..

— أى شيء ..

ولكن الكلمات احتبست في كيانها ، ورفضت الخروج إلى
لسانها ، وهي تتطلع إليه في لهفة ، متسائلة عما إذا كان
سينطقها أخيراً ..

أما هو ، فقد صمت لحظة ، امتزج خلالها ذلك الحزن ،
المطل من عينيهِ ، بفيض من الحب والحنان ، قبل أن
يقول ، بصوت حمل دماء الدنيا كله :

— (منى) .. هل ..

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه
المحمول ..

ارتفع ليلتزع ثلاثتهم بقعة ، من ذلك البحر من
المشاعر ، حتى إن (منى) قد التفتت في عطف ، وهي
تطلق شهقة مرتفعة ، في حين سقطت الشظيرة من يد
(قدرى) ، وهو يهتف :

— رباه !

الوحيد الذي تصرف بتمامك متوقع ، كان (أدهم) نفسه ، الذي اعتدل في سرعة ، والتقط هاتفه المحمول بحركة تلقائية ، وضغط زر الاتصال فيه ، دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وقال في حزم :

- (ن - ١) ياسيدى .

كان من الواضح أن الرنين الخاص ، الذي انطلق من هاتفه ، والذي يختلف عن رنينه المعتاد ، كان ينبئه بأن محدثه هو مدير المخابرات العامة نفسه ، لذا فقد هب من مقعده ، وابتعد عن رفيقه بضعة لحظات ، وهو يستمع إليه فى اهتمام بالغ ..

وفى دهشة ، تساءل (قبرى) :

- لماذا استخدم (أدهم) كوده السرى ؟؟

غصمت (منى) ، وحبها يخفق فى قوة :

- إنه اتصال من الإدارة .

اعتدل (قبرى) ، هاتفاً فى الفعل :

- حقاً ؟؟

وعادته ، كلما بلغ الفعل ذروته ، التقط شظيرة جديدة ،

وتضم منها قطعة كبيرة ، لأكها بين فكية ، فى سرعة كبيرة ، وهو يراقب (أدهم) ، الذى استغرق بمشاعره كلها ، فى الاستماع إلى مدير المخابرات ، دون أن يقاطعه بحرف واحد ، وهو يبتعد عن رفيقه بخطوات وثقة حاسمة ، حتى بلغ سور الفيللا ، قبل أن يقول فى حزم :

- كلى فداء لـ (مصر) ياسيدى .. أنا مستعد تملأاً للتلفيز المهمة ، مهما كان الثمن .

ثم عاد إلى صمته وانتباهه ؛ لتصف دقيقة أخرى ، قبل أن يقول :

- أنا مستعد تملأاً ... ساعد حقيقتى فى سرعة .. وانتظرهم .

أنهى الاتصال ، وتحرك عتداً إلى رفيقه ، لتساءل (قبرى) فى نهلة والفعال :

- هل تعتقدن ..

قاطعتها فى الفعل :

- أى سؤال هذا ؟؟ ألم تر كيف هو الآن ؟؟

كانت صادقة فى تساؤلها تملأاً ، لـ (أدهم) ، الذى اتخذ طريقه نحوهما ، فى خطوات قوية حيوية ، كان يختلف

تماماً عن ذلك الذي كان يجلس ، منذ دقائق قليلة ، متطلعاً إلى مياه القناة في شروق ..

وعندما اقترب منهما ، شعرت (منى) بارتجافة جديدة ، تنطلق عبر كيانها كله . وهي تنطلق إلى عينيها ، اللتين زابلهما ذلك الحزن العميق الدفين ، لتحل محله نظرة مفعمة بالحيوية والنشاط ، اللذين انتقلا إلى صوته ، وهو يقول :

- يمكنكما البقاء هنا حسبما تشاءان يارفاق ، فأنا مضطر للعودة إلى (القاهرة) فوراً .

قال (قدرى) في دهشة :

- إلى (القاهرة) ؟! هل طلبوا عودتك ، فى الثامنة صباحاً ؟!

أما (منى) فلهضت ، قائلة فى حزم :

- فليكن .. سنرافلك إلى هناك ، و ..

استوقفها بإشارة من يده ، وهو يقول :

- معذرة يا عزيزتى ، ولكن هليكوبتر لن تسمح لإلأشخاص واحد .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة بالغة ، فى حين هتفت (منى) :

- هليكوبتر ؟! أهى مهمة عاجلة إلى هذا الحد ؟!

امتزج جوابه بهدير مراوح الهليكوبتر ، التى ظهرت فى سماء المكان ، وهو يقول ، بلهجة حملت استمتاعاً واضحاً :

- هى كذلك بالفعل .

وخفق قلب (منى) مرة أخرى بقوة ..

بمنتهى القوة ..

بدا (الآن راكوبيل) ، مندوب مخبرات المركزية الأمريكية ، شديد التوتر والانفعال ، وهو يصالح (أدهم) ، قسلاً :

- مرحباً ياسيد (أدهم) .. يسعنى وصولك إلى هنا بهذه السرعة ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن ، والرؤساء فى الولايات المتحدة ، يظنون وصولك إلى هناك ، بكفى سرعة ممكنة .

قال (أدهم) فى هدوء :

- بالنسبة للسفر إلى بلادك ، لن تنخفض أقصى سرعة هذه عن عشر ساعات على الأقل .

هز الأمريكى رأسه نفياً ، وهو يقول فى حزم :

- إنهم يريدونك هناك ، خلال ست ساعات فحسب .

ارتفع حاجبا (أدهم) في دهشة، وهو يقول:

- ست ساعات؟! ولكن ما من طائرة يمكنها أن تقطع هذه المسافة، خلال ..

قاطعه الأمريكي بمنتهى الحزم:

- إننا نتحدث عن مقاتلة حربية، من أحدث طراز متاح.

التقى حاجبا (أدهم) في شدة، وهو يقول:

- مقاتلة حربية؟!!

أجابته (راكويل) في سرعة:

- نعم .. مقاتلة حربية جديدة، يمكنها أن تؤمن السرعة

المناسبة، التي تساعدك على الوصول إلى (والسلطن)، خلال ست ساعات.

قال (أدهم)، وهو يعقد ساعديه أمام صدره:

- أعرف تماما قدرات مقاتلتكم الجديدة، وسرعتها الفعقة،

التي تبلغ ضعف السرعات القصوى المعروفة، ولكن معلومتي تقول: إنها لا تصلح إلا للركب واحد، وهو قلدها، ثم إن خزان وقودها لا يسمح لها بقطع هذه المسافة الهائلة، دون التزود بالوقود ثلاث مرات على الأقل.

التقى حاجبا (راكويل)، وهو يسأله في توتر:

- ما الذي تعرفه أيضا، عن مقاتلتنا الجديدة لـ... السرية؟!!

ضغط حروف الكلمة الأخيرة، في غضب واضح، فهزّ (أدهم) كتفيه في هدوء، مجيباً:

- تصميمات مقاتلتكم الجديدة، التي تتصورونها سرية، كانت ترقد في أعماق خزانة (جون روتشيلد): مستشار الأمن القومي الإسرائيلي، عندما اقتنعناها نحن، لتحصل منها على بعض الأوراق المهمة، التي أرسلناها إليكم، فتجاهلتم محتواها تماماً.

سأله (راكويل) في غضب:

- أتعنى أن الإسرائيليين هم الذين ..

لم يتم تساؤله، فقال (أدهم) في سخرية:

- نعم .. هم الذين ... والذين أيضا.

ازداد اعتقاد حاجبي (راكويل)، وهو يتطلع إلى عينيّه مباشرة، فارتفعت على شفتي (أدهم) ابتسامة ساخرة، وهو يرفع أحد حاجبيه، ثم يخفضه، على نحو عايب مستفز، جعل الأمريكي يقول في حدة:

١ - فليكن يا مستر (أدهم) .. لا وقت لدينا للدخول في مثل هذه المشاهدات السخيفة ، فلنكن دقيقة ثمنها ، كما سبق أن أخبرتك .

ثم تتحجج ، وشد قامته ؛ ليضيف في حزم :

- أنت ستقود مقاتلتنا .

ألقاها متوقفاً أن تتسع عينها (أدهم) في دهشة وانبهار ، إلا أن هذا الأخير ظل هادئاً قوياً ، وهو يتساعل :

- وماذا عن مشكلة الوقود ؟؟

فرد الرجل أمامه خريطة ملاحية ، وأشار إليها ، مجيباً :

- في هذه البقعة ، وفي تلك أيضاً ، ستكون هناك حاملتنا طائرات في انتظارك ، ولديهما كل الأنواع اللازمة لتزويدك بالوقود ، فور هبوطك على سطح أي منهما .

قال (أدهم) بنفس الهدوء والثقة :

- الهبوط على سطح حاملة طائرات ، في قلب المحيط ، ليس بالأمر الهين ، وأنا لم أقم به من قبل قط .

أشار (راكويل) بسببته ، قتلاً في توتر :

- ولكن ملوك يؤكد أنك طيار بارع ، لا يشق نه غبار ،

كما تقولون في لغتكم ، ورؤسائي لديهم ثقة شديدة ، بأنه باستطاعتك القيام بهذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- قلت : إنه ليس بالأمر الهين ، ولم أقل : إنه مستحيل !

قال (راكويل) في سرعة :

- وحتى لو كان ذلك .

وتوقف لحظة ، عض خلالها شفته السفلى في مقت ، قبل أن يتابع :

- فملكك يقول : إنك قادر على قهر المستحيل .

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يتساعل :

- وماذا عن المرة الثالثة ؟؟

تطلع إليه (راكويل) بنظرة غريبة لبضع لحظات ، وكأنه لا يفهم السؤال ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، هاتفاً :

- آه .. تقصد احتياجك إلى التزود بالوقود ثلاث مرة .

قال (أدهم) ، في لهجة حملت لمحة ساخرة :

- بالضبط .

ابتلع الأمريكي غضبه ، وهو يجيب :

— ستكون قد فكرت من سواحل الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد ما ، لذا سيتم تزويدك بالوقود في أثناء الطيران ، بواسطة طائرة وقود ضخمة ، ستحلق فوقك ، وتمتد قبوياً خلفاً ، إلى فتحة الوقود في مقعدك ، وكل ما سيكون عليك فعله عندئذ ، هو أن تخفض من سرعة المقاتلة ، حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، خلال فترة التزود فحسب ، ثم ..

قاطعه (أدهم) هذه المرة في حزم :

— أعرف ما ينبغي فعله حينذاك .

التقط الأمريكي نفساً عميقاً ، وهو يتطّلع إليه مباشرة ، قبل أن يمد يده لمصافحته ، قائلاً :

— أعلم جيداً أنك تؤدي هذه المهمة ، فقط لأنك تلقيت الأوامر بهذا من رؤسائك ، أو لأنكم ستحصلون على تعاون كبير منا ، مقابل تعاونكم معنا ، وأنه لو تعلّق الأمر بنا وحدها ، لما حركت سبابتك من أجناسنا .

قال (أدهم) في برود :

— هذا صحيح .

تجاهل الأمريكي قوله تعالماً ، وتابع :

— وأعلم أيضاً أن المهمة ، على الرغم مما تبدو عليه من بساطة ، قد تتطوّر على قدر هائل من الخطر ، ولكنني أريد أن أقول لك : إنه لو تمت المهمة بنجاح ، حاول ألا نلتقي مرة ثانية أبداً ؛ لأنه لو حدث هذا ، سأبذل قصارى جهدي للقضاء عليك ، مهما كلفني هذا ؛ لأنني لا أمقت شخصاً في الدنيا كما أمقتك .

صافحه (أدهم) في هدوء مستفز ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :

— حاول أنت ألا نلتقي عندئذ ، فستعلو ضحكاتي الساخرة حتماً ، عندما أراك تفسل في مسعاك ، وتبكي في مرارة كالأطفال .

قال (راكويل) ، بكل مقت الدنيا :

— سنرى يا مستر (أدهم) .. سنرى .

رفع (أدهم) حاجبه وخفضه مرة أخرى ، وهو يقول بنفس الابتسامة الساخرة :

— نعم يا مستر (راكويل) .. سنرى .

وكانت هذه هي البداية ..

بداية المأزق ..

أكبر مأزق سيواجهه (أدهم) في حياته ..

على الإطلاق ..

نفثت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء ، في
بطء واستمتاع ، وهي تراجع المعلومات ، التي تراصت على
شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تسترخي في
مقعدها ، قائلة :

- عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام -

قال قائد قواتها في قلق :

- ولكن المعلومات تقول : إنهم يراجعون ملفات الأقمار
الصناعية ، مما يعني أنهم قد تكونوا فكرة معقولة ، عن
طبيعة السلاح الذي نستخدمه .

هزت كتفها في لامبالاة ، قائلة :

- كانوا سيتوصلون إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً .

سألها في دهشة :

- ألا يفتك هذا ؟؟

ابتسمت ابتسامة غامضة ، وهي تقول :

- كل شيء مازال تحت السيطرة .

سألها ، في شيء من التوتر :

- كل شيء ؟؟

لجأته بعنتهى الحزم :

- نعم .. كل شيء -

مطأ شفتيه ، وهو تراجع المعلومات على شاشة
الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن يغمغم :

- ربما -

أدارت إليه عينين ساخرتين ، ونفثت دخان سيجارتها في
وجهه ، قبل أن تقول :

- قل لي يا رجل : هل يتضمن عقدك أن تفكر ؟؟

حذق فى وجهها ، قاتلاً فى حيرة :

- ماذا تعنين أيتها الزعيمة ؟!

استدارت إليه بجسدها الفاتن كله ، وهى تقول ، فى صرامة واضحة :

- أعنى أبنى عندما استأجرت خدماتك ، أخبرتك بمنتهى الوضوح ، أنك ستحصل على هذه المكافأة الضخمة ، مقابل خدماتك وخبرائك العسكرية والقتالية ، ولم أشر لحظة واحدة ، إلى أبنى أحتاج إلى ذكائك أو عبقريتك .

تطلع إليها فى تساؤل حائر ، فاكتمل صوتها قسوة وصرامة ، وهى تقول فى شراسة :

- باختصار ، أريد منك أن تبذل نفسك قتالاً ، وتترك كل ما يتعلق بالتفكير والتدبير لى وحدى .. هل تفهم ؟!

مضت لحظة من الصمت ، تطلع كل منهما خلالها إلى عيني الآخر ، قبل أن يقول هو مترجماً :

- كنت أبدي رأى فحسب .

قالت بنفس الصرامة الشرسة :

- فى المرة القادمة ، احتفظ برئيك هذا لنفسك .

قال ، فى شرع من التوتر :

- ولكننا فى زورق واحد .

صاحت فى غضب :

- وأنا قبطان هذا الزورق .

تزايد توتره ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، أظننى أحتل منصب الضابط الأول ، ومن حق من فى منصبى أن يبلغ القبطان بكل ما يتراءى له ، وبكل ما خفى عنه .

قالت بكل الصرامة :

- على أن يتخذ القبطان القرارات وحده فى النهاية .

انخفض صوته ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قوله الأخير هذا جعلها تستراجع عن غضبتها الشرسة ،
وتستعيد ابتسامتها الساحرة ، قائلة :

- عظيم .. هذا يضع النقاط على الحروف فى وضوح .

ونقشت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تشير إلى
شاشة الكمبيوتر ، متابعة :

- هل لاحظت أنهم قد استمتعوا بأكثر رجالهم خبرة وحكمة ؛
لفحص تلك الحجرة ، التى قمنا بالبحث منها ، عبر شبكة
الاتصالات الداخلية ، فى مبنى الكونجرس ؟

لوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- الفريق الذى استعملوا به ، من أيرع رجال الطب
الشرعى والمعامل الجنائية لديهم ، وهو المسئول عن حل
معظم الجرائم شديدة التعقيد ، فى الولايات المتحدة كلها .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى توتر ، لم يستطع كبحه :

- إنهم معاندون على فحص مسرح الجريمة ، بمنتهى
الدقة والغشائية ، وكل شيء يعثرون عليه فيها ، يمكن أن

يقودهم إلى نتيجة ما .. بصمة إصبع .. شعرة رأس ،
أو حتى أثر حذاء ..

وصمت لحظة ، ثم واصل ، فى شيء من العصبية :

- إنهم بارعون بحق .. بارعون إلى أقصى حد ممكن .

أدهشه بشدة أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ،
وهى تقول فى استمتاع عجيب :

- عظيم .. عظيم .

قالتها ، ثم تطلعت من خلفها ضحكة عالية عابثة ، قبل
أن تلقى ماتبقى من سيجارتها الحمراء بعيداً ، وتتابع فى
جنل وحشى عجيب :

- سيروق لى كثيراً ما سيعثرون عليه هناك .. وسيروق
لى أكثر ما سيتوصلون إليه .

وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة مطبوعة ، ثم تلتقط
نفساً عميقاً ، وتقول فى شيء من المرح :

- كل شيء يسير على ما يرام بالفعل .

مع آخر كلماتها ، تطلق من الكمبيوتر أزيز خافت ،
وظهر في ركن شاشته رسم لمظروف مقلد ، يظن وصول
رسالة عاجلة ، فمالت الزعيمة نحو لوحة الأزرار ، وهي
تقول في اهتمام :

- معطومة عاجلة .

وضغطت أحد أزرار اللوحة ، فافتتح رمز المظروف ،
وظهرت الرسالة كاملة على الشاشة ..

كانت رسالة قصيرة ، تحوى جملة واحدة فحسب ..

وبسرعة ، التهمت عينها الزعيمة كلمات الرسالة
القصيرة ، ثم تألفت عينها في شدة ، وهي تقول :

- آه .. لقد فعلوها .

سألها قائد قواتها في نهضة :

- هل استعملوا حقاً بذلك المصري ١٢

أشعلت سيجارة جديدة ، ونفثت دخانها في عمق ، وهي
تقول بلهجة غامضة :

- جواب هذا السؤال لم يشغلني لحظة واحدة .. كنت
واثقة من أنهم سينفذون ما طلبته حتماً .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت في شيء من الحزم :

- السؤال الذي كان يقلقني : هل سيوافق هو على
مساعدتهم ١٣

سألها قائد قواتها في اهتمام حائر :

- ولماذا الإصرار على هذا المصري بالتحديد ١٤

نفثت دخان سيجارتها بملتهى البطم ، قبل أن تجيب ، في
استمئاع عجيب :

- لأن وجوده سيجعل اللعبة أكثر إثارة .. أكثر
بكثير .

قالتها ، وعادت تطلق تلك الضحكة الطويلة العابثة ..

وفي هذه المرة ، وربما لأول مرة منذ عرفها ، شعر قائد
قواتها بالخوف منها يسرى في عروقه ..

فعلى الرغم من جمالها وفتنتها ، وضحكاتها العابثة الطويئة ، بدت له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بوحش ..

وحش كاسر ..

للغاية .



٧ - السر ..

التقى حاجبا مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، وناقشت سحتها ، على نحو ذلك ملامحها قبحا ، وهى تتلعب شخصيا ، صلية فحص تلك الحجرة ، التى تم بث اتصال للرعية منها ..

كان فريق خبراء الألة الجنائية يقوم بفحص المكان ، فى دقة متناهية ، بحيث يستحيل أن تفوتهم لمحة واحدة ..

كانوا يجمعون كل ترة يجدونها ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، وكل جدار ، ويستخدمون أحدث معداتهم ، لكشف كل ما يمكن كشفه ..

وبعد ثلاث ساعات كاملة من العمل ، تقدم قائد الفريق من مستشارة الأمن ، وقال وهو يمسح العرق الغزير ، الذى غمر وجهه ، على الرغم من برودة الجو :

- أما زلت تصرين على البقاء ياسينتى ؟! للرجال يقومون بعملهم على أكمل وجه ، ولكن وجودك بينهم يؤثر سلبا ، إلى حد ما .

قالت فى خشونة :

- دعهم يعتادون هذا .

مط شفتيه ، قتلًا :

- ولكن ما قائدة وجودك هنا ؟؟

بدت أشبه بقطعة مفترسة ، وهي تساله :

- هل عثرتم على بصماتها ؟؟

أشار الرجل بسبائته ، قائلًا :

- المكان يحوى العديد من البصمات ، و..

قاطعتها فى صرامة :

- تلك الحقيبة لم تكن ترتدى قفازات ، وستجدون بصماتها

حتمًا ، فى مكان ما هنا ، لو قمتم بعملكم كما ينبغي .

بدا الضيق واضحًا فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- إلتنا نقوم بعملنا أفضل مما ينبغي ياسينتى ، ولكن

البصمات لا يمكن فحصها فى مسرح الجريمة .. لا بد أن

نحملها إلى معاملتنا ؛ حيث شبكة الكمبيوتر والـ ...

قاطعه بنفس الصرامة :

- ما الذى تحتاجون إليه بالضبط ؟؟

تطلع إليها ، فى دهشة متسائلة ، فتابعت بصرامة أكثر :

- ما الذى تحتاجون إليه ؛ لأحصل على النتائج فورًا ؟؟

بدا عليه الغضب ، وهو يقول فى حدة :

- ما نحتاج إليه بالفعل ، هو أن تتركنا وشأننا ياسينتى ..

دعنا نعمل كما ينبغي ، وأذهى أنت لتعارسى عملك كما ينبغي .

احتقن وجهها الأسمر ، وهي تهتف :

- كيف تجرؤ أيها الـ ..

قاطعتها فى صرامة شديدة :

- لست أجرو فحسب ، ولكننى أحتج أيضًا .

ثم شيد قامته ، مستطردًا :

- وبأسلوب عملى .

قالتها ، والتفت إلى فريق الفحص ، هاتفاً بلهجة امرأة

صارمة :

- توقفوا .

لم يك ينطقها ، حتى توقف لرجال دفعة واحدة ، ونهضوا

والقنين ، كجنود فى حالة استعداد قتالى ، مما ضاعف من

احتقان وجهها ، وهي تهتف ، بكل غضب الدنيا :

- هل تدرك ما تفعلونه ؟؟

أجابها الرجل في صرامة :

- نعم يا سيدي .. نذكر جيداً أننا نرغب في أداء عملنا كما ينبغي ، وأننا لن نسمح لأي مخلوق ، أبداً كان منصبه ، أن يفسد عملنا ، أو يدس أنفه فيه ، ولو لحظة واحدة .
هتفت :

- أتعلم أن باستطاعتي أن ..

قاطعها بنفس الصرامة ، وهو يواصل حديثه :

- ولو أننا عجزنا عن القيام بعملنا لهذا السبب ، فنحن نعلن فشلنا ، وننتقم باستقلالنا الجماعية .. فوراً .

حدقت في وجهه بضغ لحظات ، وكأنها لا تصدق ما تسمعه منه ، وتصارعت في أعماقها رغبته في الحصول على النتائج ، مع غضبها من تحديدهم لها ، إلا أنها لم تلبث أن قالت ، وهي تتدفع خارج المكان في حدة :

- واصلوا عملكم .

كان الغضب يتفجر ، في كل خلية من خلاياها ، وهي تسير في خطوات عصبية سريعة ، عبر معرات الكونجرس ، مضغمة :

- أينها الحفيرة .. أنت السبب في كل هذا .. أقسم أن أسحقك سحقاً ، عندما أظفر بك .

مع آخر حروف كلماتها ، ارتفع رنين هاتفها المحمول بقعة ، فالتقطته في حركة عصبية ، قائلة :

- أتعلم أن يحمل هذا الاتصال خبراً ساراً .

ضغطت زر الاتصال ، وهي تقول في حدة :

- ماذا هناك ؟!

أثارت صوت مدير المخابرات المركزية ، وهو يقول في توتر :

- لقد كنا على حق .

اتعدت حاجبها في شدة ، وهي تقول في غضب :

- رياه ! هل استخدموا برنامجنا ضدنا ؟!

أجابها مدير المخابرات :

- نعم يا مستشارة الأمن القومي .. تلك الحفيرة سيطرت بوسيلة ما ، على أحد أقمارنا الصناعية ، التي كانت ضمن برنامج (حرب النجوم)^(١٠) ، الذي لم يتم استكمالها ، لأسباب اقتصادية وسياسية .. لقد سيطرت بالتحديد على القمر

(*) برنامج حرب النجوم ، هو برنامج عسكري فضائي ، تم وضع أسسه ، أثناء فترة حكم الرئيس (ريجان) ، وهو يعتمد على وجود شبكة من الأقمار الصناعية ، تحيط بكوكب الأرض ، وتحمل مدافع الليزر القوية ، القادرة على سحق أي هدف ، في أية بقعة من الأرض ، ولقد تم إيفاد البرنامج ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، باعتبار أنه لم يعد من المنطق إتفاق مئات المخابرات عليه ، بعد أن أصبحت (أمريكا) زعيمة العالم الجديد .

الوحيد ، الذي يحوى مدفع ليبرز قادراً على العمل ، وهي تستخدم أشعة الليزر غير المرئية ؛ لتسف أهدافنا الأرضية ، وإزالتها تماماً من الوجود .

مضت لحظات من الصمت ، عجزت مستشارة الأمن خلالها ، عن التلطف بحرف واحد ، من شدة الذهول والاستنكار ، فتابع مدير المخابرات فى توتر بالغ :

- علمائنا يحاولون استعادة السيطرة على لقصر الصناعى ، ولكنهم يقولون إن الأمر عسير للغاية ؛ لأن تلك الحقيرة قد أبدلت شفرات الاتصال تماماً .

قالت مستشارة الأمن ، وهي تبذل جهداً خرافياً ، للسيطرة على قلعائها ، ونفض الذهول والغضب عن ذهنها وصوتها :

- وكم من الوقت نحتاج لاستعادة السيطرة عليه ؟!

أجابها فى مرارة :

- ثلاثة أيام ، على أقل تقدير ، باستخدام أحدث الأجهزة والمعدات ، والفضل خبراء الشفرة والاتصالات .

تضاعف غضبها ، وهي تغتم :

- يا للحقيرة !

كادت تشتعل غضباً وثورة ، فى أصق أصعاقها ، ولكنها قاومت كل هذا فى استماتة ؛ لتضيف :

- ألا يمكن تعقب الوسيلة ، التى تسيطر بها على قمرنا ، وتوجه بها ضرباتها ؟! هناك محطة سيطرة أرضية حتماً ، فى مكان ما هنا .

أجابها مدير المخابرات :

- إننا نبذل قصارى جهدنا لكشف هذا .

هتفت فى حدة :

- لقد صنعت عبارة (قصارى جهنما) هذه ، فلا يستخدمها دوماً سوى المقصرين .

قال مدير المخابرات فى غضب :

- اسمعنى أيتها المستشارة .. أعلم أنك غاضبة مما يحدث ، وكلنا نعلم حالة الإحباط نفسها ، ولكن هذا لا يمنحك الحق فى أن تتعامل مع الآخرين ، بهذا الأسلوب القبح ، وفى العرة القادمة ، نوتعاملت معي بهذا الصنف ، أو أشترت مجرد إشارة ، إلى ضعف كفاعتى ، أو كفاءة رجالى ، أو سخرت مما نفعل ، سارسل ملفك السرى كله ، إلى كبريات الصحف ، فى

جميع أنحاء العالم ، وأنت تعلمين أنه يحوى كل ما يكفى ؛ لأن يضطر الرئيس إلى التخلي عنك ، والتضحية بمصيرك كله ؛ حتى لا يخسر فرصته الأخيرة ، فى الترشيح لفترة رئاسة ثانية .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تسمعه ، وحاولت أن تقول أى شيء ؛ لإعلان اعترافها وغضبها ، إلا أنها أدركت صحة ما يقول ، وأنه لن يترنذ لحظة واحدة ، فى تدمير مستقبلها كله ، إذا ما تجاوزت حدودها ، فأبتلعت كل ما تشعر به فى أعماقها ، وسألته محاولة تجاوز الموقف كله :

- هل من أخبار عن ذلك المصرى ؟

أدرك مدير المخابرات الأمريكية هدفها ، فتجاوز الموقف بدوره ، وهو يقول فى هدوء :

- لقد تزوّدت بالوقود للمرة الأولى بالفعل ، من حاملة الطائرات (جونسون) ، والرجال هناك يؤكدون أنه طيار بارع إلى درجة مذهشة ، وأن هبوطه وإقلاعه كانا مثاليين ؛ حتى إن بعض طياريهم قد شعروا بالغيرة منه .

مطّنت شفيتها ، قائلة فى وقت :

- لست أصدق أن مصرياً يمكن أن يكون بهذه البراعة .

صمت مدير المخابرات لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لو أنك تعيشين عالمنا ، لأدركت أن المصريين ليسوا بالتفاهة التى تتصورينها ، وأنهم عابرة فى عدة مجالات ، ومقاتلون لا يشق لهم غبار ، فى مضمار القتال .

قالت فى غضب :

- هل يثيرون إعجابك إلى هذا الحد ؟

أجابها فى سرعة وحزم :

- فى عالمنا ، تحترم الأبطال ، لئلا كنت جنسيتهم ، ولو لم يكن تلك الرجل أسطورة ، فى عالم المخابرات والجاسوسية ، لما أصر الإسرائيليون على ضرورة التخلص منه بأى ثمن كان .

قالت بنفس المقت :

- دعه ينجز مهمته أولاً ، وليتخلصوا منه فيما بعد .. أنا شخصياً سأجرى اتصالاتى مع الإسرائيليين ، و ...

قاطعها بقية ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- ماذا حدث عندك ؟

صاح بها ، والفعالة الجارف يكاد ينسف هاتفها :

- لن تصدقني ما فعلته تلك الحقيبة هذه المرة أيتها
المستشارة .. لن تصدقني أبداً .

صاحت به :

- ماذا حدث بآلته عليك ؟؟

وأخبرها مدير المخابرات بما حدث ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

وهوى قلبها بين قدميهما ..

فما فعلته الزعيمة الغامضة هذه المرة ، كان مخيفاً ..

مخيفاً بحق ..

التقط مدير المخابرات المصرية تلك البرقية العاجلة ،
التي قدمها له مساعدته الأول ، وقرأ كلماتها في سرعة ،
قبل أن يتراجع في مقعده ، ويرفع سياجته إلى نكته ، قتلأ :

- إذن فقد تزود (ن - ١) بالوقود للمرة الثانية !

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

- من الواضح أن سيادة العميد يبهروهم بمهارته وقدراته
المدهشة يا سيدي ، فهم يتحدثون عنه ، كما لو كان
أسطورة حية .

غمغم المدير :

- إنه كذلك بالفعل .

نطقها في شيء من الشرود ، فتطلع إليه مساعده بضع
لحظات في صمت ، قبل أن يسأله في حذر :

- ما الذي يقلبك يا سيدي ؟؟

رفع المدير عينيه إليه في صمت ، طال لنصف دقيقة
كاملة ، قبل أن يقول في قلق واضح :

- المرحلة الثالثة من الرحلة .

سأله المساعد :

- وماذا عنها ؟؟ سيادة العميد (أدهم) طيار بارع للغاية ،
باعترف خبراتهم قبل خبرتنا ، وعملية التزود بالوقود في أثناء
الطيران ، عملية تحتاج إلى المهارة وقوة التحكم في الطائرة ،
وسياسته يجيد الأمرين بكفاءة تامة .

هز المدير رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا ما يقلقنى .

قلها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة الحجرة ، ووقف يتطلع عبرها فى صمت ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن سأل ، دون أن يلتفت إلى مساعده :

- ما أهم سلاح ، تواجه به أى خصم قوى ؟

أجابته مساعده فى سرعة :

- المعلومات .

أوماً المدير برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

وصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- نورا جعت ما يحدث ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لأفركت أن كافة المعلومات هناك غير متوازنة على الإطلاق ، وأن تلك الزعيمة الغامضة ، التى توجه ضرباتها القاصمة هنا وهناك ، لديها رصيد ضخم من المعلومات ، عن كل ما يدور

فى دهاليز السياسة وخزائن العسكرية ، فى معظم الأماكن والجهات ، شديدة الأهمية والخطورة ، فى الولايات المتحدة كلها ، وأن لديها ما يسمح لها بالتسلل إلى أماكن شديدة الحساسية ، والدخول إلى مواقع بالغة الدقة ، فى نفس الوقت الذى يفتقر فيه الأمريكيون إلى أية معلومات وأفية عنها ، تتيج لهم التصدى لها ، ومواجهتها ، وإيقاف أو عرقلة مخططاتها .

وتوقف ليتنهد فى عصف ، ثم تابع فى قلق :

- وفى هذه المرحلة الأخيرة ، من رحلة (ن - ١) العجيبة الفريدة ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ستقرب مقاتلته رويداً رويداً من السواحل الأمريكية ، وسيصبح فى حاجة شديدة للتزود بالوقود ، وإلا سقطت طائرته فى المحيط .

تسارع مساعده ، وقد تفجر قلق عارم فى أعماقه :

- سيذى .. هل تشير إلى احتمال حدوث محاولة ما :

لمنع سيادة العميد ، من بلوغ (واشنطن) ؟

أشار إليه المدير ، قائلاً فى قلق :

- أخبرنى أنت ، لماذا أصرت تلك الزعيمة الغامضة ، على أن يكون (ن - ١) بالتحديد ، هو همزة الوصل ، بينها وبين

الحكومة الأمريكية ، في مفاوضاتها معها ؟ لماذا رجل
مخابرات مصري بالذات ؟

ودون أن ينتظر جواباً ، عاد يتطّلع عبر النافذة ، متابعاً
بنفس القلق :

- ألا يضر هذا في أعمالك بذرة شك ، في أنها وسيلة
مبتكرة لجلب (ن - ١) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،
والقضاء عليه بوسيلة ما ؟

ضعف المساعد في اقتصاب ، دفعه إليه التفكير العميق :

= ربما يا سيدي ؟

ثم استترك في سرعة :

- ولكن هناك نقطة أخرى ، لا تقل أهمية وخطورة .

التفت إليه المدير مرة أخرى ، وسأله في اهتمام :

- وما هي ؟

أجابته المساعد في سرعة :

- سيادة العميد (أدهم) يقود طائرة مقاتلة ، تعتبر الأحدث
من نوعها ، ومع مقتل مثله ، ستصبح لية محاولة لإسقاطه
أشبه بالانتحار .

صمت مدير المخابرات طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :

- هذا يقودنا إلى سؤال آخر .. كيف يمكن أن يسمح
الأمريكيون لرجل مخابرات مصري ، بقيادة أحدث مقاتلاتهم ،
والهبوط بها في (واشنطن) ، دون أن يتخذوا كل الاحتياطات
اللازمة ، في هذا الشأن ؟

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- وجواب كل هذه الأسئلة يحتاج إلى السلاح نفسه .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يكمل في حزم :

- المعلومات .

واحتواهما الصمت مرة ثانية ، وقد انطلقت أفكارهما إلى
هناك ..

إلى المحيط ..

محيط الخطر ..

كل شيء سار على ما يرام ، حتى هذه المرحلة ..

الرحلة كانت طويلة ، ولكن المقاتلة الأمريكية الجديدة
قوية بالفعل ، وتتطّلق بسرعة مذهلة ..

وعمليتا التزوّد بالوقود تمتا في إطار الجدول المسبق ،
ودون أية متاعب أو مشكلات ، باستثناء نظرات العقدة
والغيرة ، في عيون الطيارين الأمريكيين ، وهم يتطلعون
إلى المصري ، الذي يقود أحدث طائراتهم ، في مهارة
مدهشة ، تفوق أقصى ما يتعمنون بلوغه ..

ومن المؤكد أنهم ، في تلك اللحظات ، قد تنكروا تلك الحقيقة
المؤلمة - بالنسبة لهم - والتي تؤكد أن كفاءة الطيار المقاتل
المصري ، تفوق بعدة مرات كفاءة أفضل طيار مقاتل أمريكي ،
أو حتى إسرائيلي ؛ لأن الطيار المصري يعتمد دوماً على
مهارته الشخصية ، أكثر مما يعتمد على تكنولوجيا مقاتلته ،
كما يفعل الأمريكيون والإسرائيليون^(١) ..

ولقد فكرت المرحلة الثالثة ، والمفترض أن تظهر طائرة
الوقود ، بين لحظة وأخرى ..

كانت المؤشرات تشير إلى أن الوقود يكفي لربع ساعة
لآخرى من الطيران ، قبل أن ينفد تماماً ، قبل مئات الكيلومترات ،
من الساحل الأمريكي ..

وفي اهتمام ، أدار (أهم) عينيه فيما حوله ، وهو يغفم :

- هيا يا بطة الوقود .. لا بد أن تظهرى الآن .

(*) حقيقة ، يمكن التأكد منها ببساطة ، عبر شبكة الإنترنت .

كان يقود المقاتلة الأمريكية الحديثة بمهارة حقيقية ،
وبنشوة لم يشعر بمثلتها من قبل ؛ ربما لأن المازق ، الذي
وقعت فيه زعيمة النظام العالمي الجديد قد كسر أنفها ،
وسحق عظامها ، ودفعها مرغمًا إلى الاستعانة به ..

برجل مخابرات (مصرى) ..

ومع الفكرة ، تسالت إلى شقيقه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- لقد آثروا بالحقيقة ، على الرغم منهم .. بالزمن !

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يتابع :

- ولو أن الأمر بيدي ، لركبت تلك الزعيمة الغامضة تسحقهم
سحقًا ، جزاء لما فعلوا بنا .

قائلها ، وذهنه يستعيد عبارة رئيس الجمهورية ، في
لقائه معه ، قبل أن يقابل مندوب المخابرات الأمريكية ..

« إننا لنفعل هذا من أجل الولايات المتحدة الأمريكية أيها
العبيد (أهم) .. إننا نفعله من أجلنا نحن ؛ فلونجحت تلك
الغامضة ، في السيطرة على الإدارة الأمريكية ، وهزيمة أكبر
دولة في العالم ، لن تتردد لحظة واحدة ، في فرض سيطرتها
على العالم كله ، وهي لن تستثنى (مصر) بالتأكيد .. »

وكانت نظرية الرئيس صحيحة تمامًا ..

فالحماقة ، كل الحماقة ، أن تسمح للخطر أن يستشري ،
لمجرد أنه بعيد عن حدودك ..

هذا لأن الطبيعة الاستعمارية لا تشيع أبداً ..

أعطها قيراطاً ، وستطلب قدناً ..

وقدناً ..

وقدنين ..

وأرض الدنيا كلها ..

الوسيلة الوحيدة إذن لدرء خطرها ، هو أن نقتلها في
مهداها ، ونسحقها مع مولدها ..

أن تطيح بها ، قبل أن تطيح هي بك ..

وبما حوكت ..

ومن حوكت ..

وبالدنيا كلها فيما بعد ..

دارت تلك الأفكار في رأسه ، ومقتلته تواصل انطلاقها ،
فوق المحيط الأطلسي ، وعيناه تبحثان فيما حوله ، و...

وفجأة ، ظهرت طائرة الوقود ..

ظهرت ناحية الغرب ، وهي تتجه نحوه مباشرة ، في نفس
اللحظة التي تبعث فيها صوت غليظ ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

- من بطّة الوقود إلى النورس .. دقيقتان قبل مرحلة
التوازي .. قم بتخفيض السرعة ، استعداداً لعملية التزود
بالوقود ..

ضغط (أدهم) زر الاتصال ، قللاً :

- من النورس المصري إلى بطّة الوقود الأمريكية ..
تسلمنا رسالتكم ، ويتم الآن تخفيض السرعة ، إلى مستوى
يناسب عملية التوازي ..

فأدرك ذلك الصوت الغليظ ، يقول :

- عبارتك غير صحيحة أيها النورس .. المفترض ألا يتم
ذكر الجلسيات ..

أجاب (أدهم) في سخرية :

- اعتبر هذا تجاوزاً مشاعياً أيها الأمريكي ..

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول صاحب الصوت
الغليظ ، وطائرة الوقود تقترب أكثر :

- فليكن أيها المصري ..

خفض (أدهم) سرعة مقاتلته رويداً رويداً ، حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، التي اقتربت ..

واقتربت ..

واقتربت ..

وفي مناورة مدروسة ، قامت طائرة الوقود بدورة مكتملة ، لتعمل على تغيير اتجاهها ، وتتطلق نحو الغرب ، وهي تقترب من مقاتلة (أدهم) ، وترتفع فوقها ، وصاحب الصوت الغليظ يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- السرعة متناسبة ، والارتفاع مثالي .. استعد لعملية النزود بالوقود .

جذب (أدهم) ذراعاً معدنية صغيرة ، ليفتح خزان وقود مقاتلته ، في نفس الوقت الذي بدأت فيه طائرة الوقود تمد أنبوباً خاصاً ، من خزنها الضخم ، ليتصل بفتحة خزان وقود المقاتلة ، و...

وفجأة ، ظهرت تلك المقاتلة الأخرى ..

ظهرت فجأة من الشمال ، وهي تتطلق نحو مقاتلة (أدهم) مباشرة ، في نفس اللحظة ، التي هتف فيها قائد طائرة الوقود ، في دهشة مذعورة :

- ما هذا بالضبط ؟

ومع آخر حروف هتافه ، أطلقت المقاتلة الجديدة أحد صواريخها ، نحو مقاتلة (أدهم) مباشرة ، وهي تواصل الانطلاق نحوها ..

وعلى الرغم من المفاجأة ، استوعب ذهن (أدهم) الموقف كله ، في جزء من الثانية ..

وفي الجزء الثاني من الثانية ، كان قد وضع خبراته كلها موضع تنفيذ ، وجذب عجلة القيادة ، وهو يميل بالجناحين ، ويزيد سرعته ، في نفس اللحظة ..

ومع مناورته المذهشة ، وسرعة استجابته الفريدة ، تجاوزت مقاتلته ذلك الصاروخ ، على نحو مذهل ، قبل أن تتطلق مبتعدة ، في مهارة مبهرة ، وذلك الصوت الغليظ ينبعث من جهاز اتصالها ، هاتفاً في ارتياح :

- ما الذي يحدث هنا ؟! ليس من المفترض أن يحدث هذا .. ليس من المفترض أبداً .

ثم يحاول (أدهم) التعليق على ذلك الهتاف المذعور ، وهو ينطلق بمقاتلته ، وتلك المقاتلة المجهولة تطرده في إصرار ..

وعلى الرغم من دقة الموقف ، غفم (أدهم) في سخرية :
- الأمر ليس بالبساطة التي تتصورها أيها الوغد .

التخفيض بالمقاتلة فجأة ، مع آخر حروف غمغمة ، وترك
المقاتلة الأخرى تتبعه لحظة ، ثم انحرف جانباً بحركة حادة ،
ومال بزاوية بالغة الخطورة ، تحتاج إلى مهارة فائقة ..
ولقد حاول قائد الطائرة المجهولة مجارته ، فانحرف
بنفس الحركة الحادة ، ومال بزاوية مقاربة ..
ولكنها ليست مساوية ..

وفي نفس اللحظة ، كان (أدهم) يرتفع بمقاتلته مرة أخرى ،
ويدور بها في مهارة ، ثم ينخفض مرة أخرى ، وهو يغمغم :
- من سوء حظك أن طائرة المقدمة تمتلك دوماً حق
تحديد المسار أيها اللوغد .

كانت مناورته المدهشة قد عكست الموقف تماماً ، بحيث
أصبح هو في المؤخرة ، وأصبحت تلك المقاتلة المجهولة
في مرمى نيرانه تماماً ..

ولقد حاول قائد المقاتلة المجهولة الإفلات من الموقف ..
حاول ..
وحاول ..
وحاول ..

ولكن الأمر كان يعتمد ، في تلك اللحظات ، اعتماداً رئيسياً
على سرعة المناورة والاستجابة ..
وفي هذا المضمار ، كان من الصير أن يتفوق مخلوق ما
على رجل المستحيل .. أي مخلوق ..
وفي حسم ، غمغم (أدهم) ، وهو يضغط زر إطلاق
الصواريخ في مقاتلته :

- يؤسفني حقاً ما سأفعله بك أيها اللوغد ، ولكن لا خيار
في مثل هذه المواقف .. إما أنا ، أو أنت .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلق أزيز حاد داخل مقاتلته ..
قبل أن يتضاء لوح أحمر صغير ، في نابله القيادة ..
لوح يحمل عبارة مخيفة للغاية ، في موقف كهذا ..

عبارة تقول : إن المقاتلة قد تم نزع كل تسليحها
القتالي ؛ كإجراء أمني خاص ..
تم نزع كل تسليحها تماماً ..

وكان هذا يعني أن (أدهم) قد أصبح في مأزق - فوق
المحيط الأطلسي ..
مأزق حقيقي ..
ورهييب .

لم تشعر مستشارة الأمن القومي الأمريكية ، في حقيقتها كلها بالغضب والسخط ، كما شعرت بهما في تلك اللحظة ، وهي تتطلع إلى مركز التحكم في الأقمار الصناعية ، والذي تم سحقه سحقاً ، بواسطة مدفع الليزر القوي ، الذي يجعله ذلك القمر الصناعي ، الذي تسيطر عليه الزعيمة الغامضة ..

وفي مرارة لا مثيل لها ، قال مدير المخابرات ، وهو يشير إلى الحطام :

- لقد فعلتها .. أدركت أننا سنسعى لاستعادة السيطرة على القمر ، فسحقت محاولتنا كلها بضرربة واحدة .

ضعفت مستشارة الأمن في وقت :

- ضربة وقتالية .

هز رأسه نفياً ، وقال :

- بل ضربة تأديبية ، لو شلنا الدقة .. إنها تثقلنا درساً قاسياً ، وتبلغنا رسالة صارمة ، تقول : إنها ستتخذ موقفاً غاية في القسوة ، لو حاولنا التصدي لها .

صاحت مستشارة الأمن في غضب :

- وهل تتوقع منا أن نقف ساكنين مستسلمين ؟!

أجابها في مرارة :

- بل تسعى لإجبارنا على هذا .

صلحت بكل الحدة :

- يا للحقارة ! إنها تتجاوز كل القواعد ، على نحو بالغ الصفاقة والوقاحة .

بدا مدير المخابرات عصبياً ، وهو يقول :

- إتينا لم نتردد في فعل المثل ، عندما كنا نحن الأكثر قوة .

اتعدت حاجبها في شدة ، وهي تقول :

- الأمر يختلف .

أجابها في اقتضاب حارم :

- كلا .

ازداد اعتقاد حاجبها ، وقالت في عصبية :

- وما الذي سنفعله الآن .. كيف يمكننا أن نستعيد سيطرتنا

على القمر الصناعي ؟!

هز رأسه نفياً ، وهو يقول بمنتهى المرارة :

- لم تعد هناك وسيلة مباشرة للأسف .

صاحت به :

- أوجد وسيلة .. هذا عملك .

أشار بيده ، قتلأ :

- ليس أمامنا سوى البحث عن وحدة التحكم الأرضية ،
والقضاء عليها .

سألته بكل العصبية :

- وكـم يمكن أن يستغرق هذا ؟؟

هز كتفيه ، قتلأ :

- لا أحد يمكنه الجزم .

كانت تصرخ في وجهه غاضبة ، إلا أنها تنكرت تهديده
المبايق ، فاعتقد حاجبها ، على نحو جعل ملامحها شديدة
القيح ، وهي تقول :

- ابدل قصارى جهدك إذن ..

لم تكذب صبرتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها المحمول ،
فالتقطته بعصبية ، قائلة :

- من هناك ؟؟

أتاها صوت رئيس فريق الألفة الجنائية ، وهو يقول :

- سيدتى .. لقد توصلنا إلى نتائج إيجابية .

سألته في لهفة عصبية :

- هل عرفتم من تلك الحقيرة ؟؟

أجابها في سرعة :

- بالتأكيد يا سيدتى .

شعرت برجفة باردة تسرى في جسدها ، وهي تهاتف به :

- من هي ؟؟

سألها مدير المخابرات ، في تلك اللحظة :

- هل توصلوا إليها ؟؟

فأشارت بيدها إشارة صارمة قاسية ، وهي تكرر :

- من تلك الحقيرة ؟؟

أجابها رئيس الفريق في سرعة :

- (لورا كيلرمان) .. منفها يقول : إن ..

قاطعت في غضب مستنكر :

- (لورا كيلرمان) ؟! أى قول أحق هذا يا رجل ؟! لست أرى من تلك الحقيرة بالضبط ، ولكنها ليست (لورا كيلرمان) حتمًا .

بادلها غضبًا بغضب ، وهو يقول :

- ولم لا ؟! البصمات التى تركتها خلفها ، مسجلة دوليًا باسم (لورا كيلرمان) ، وشعرة الرأس ، التى التقطناها من المقعد ، الذى كانت تجلس عليه ، يتوافق حمضها النووى ، وتتوافق بصممتها الجينية ، بل تطابق تمامًا ، مع العسجل فى ملف (لورا كيلرمان) -

استخرج غضبها بحيرتها ، مما ضاعف من عصبيتها ، وهى تقول :

- ولكن هذا مستحيل ! لقد أعلنت أنها (لورا كيلرمان) ، على شاشة العرض ، فى قاعة اجتماعات الكونجرس .

قال الرجل ، فى عصبية معاتلة :

- وهل يثبت هذا ما توصلنا إليه أم ينفيه ؟!

تعمتت مستشارة الأمن ، وقد بلغت حيرتها مبلغها :

- ولكنها كانت ترتدى قناعًا .

قال فى ضجر عصبى :

- ربما كانت تحاول إخفاء ملامحها .

قالت فى حدة :

- القناع كان يحمل ملامح (لورا كيلرمان) ، كما تبدو فى ملفها .

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الرجل فى صرامة :

- سيدي .. لست أستوعب جيدًا تلك التعقيدات ، التى تتحدثين عنها ، ولكننى واثق من الأولى ، التى توصلنا إليها ؛ فالأدلة العادية لا تكذب أبدًا ، ولقد أكدت أن غريمنا هى (لورا كيلرمان) ، قبل أن نعلم أنها قد أعلنت هويتها ، وهذا يحسم الأمر تمامًا ، ولو أنكم ترفضون الاعتراف بالتسليح التى توصلنا إليها ، فيمكنكم الاستعانة بفريق آخر .

وحمل صوته مزيجًا من الغضب والصرامة ، وهو يضيف :

- لو وجدتم فريقًا أفضل .

قلها ، وأنهى المحادثة على نحو حاد ، ضاعف من غضب مستشارة الأمن القومى وحنقها وحيرتها ، فأعادت الهاتف إلى جيبها ، وهى تقول فى مقت :

- هناك من يبحث بنا .

اتعدك حاجباً مدير المخابرات ، وهو يقول :

- لقد استوعبت هذا : من ردودك على محدثك .. لقد أنباتهم الأداة أنها (لورا كيلرمان) .

هتلت فى حلق :

- هل يمكنك أن تصدى هذا ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- كلاً .

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطرداً :

- وهذا يحتاج إلى إجراء تحريات واسعة ، حول الـ ..

قاطعته رنين هاتفه المفاجئ ، فضغط زر إتمام الاتصال فى سرعة ، وهو يقول فى احترام :

- أوامرك يا سيادة الرئيس .

رائه مستشارة الأمن يستمع إلى الرئيس الأمريكى ، فى التباه بالغب ، دون أن يغلق بحرف واحد ، حتى أنهى المحادثة ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. ستحضر خلال اثنتى عشرة دقيقة لحسب .

سألته فى لهفة ، وهو يعيد الهاتف إلى جيبه :

- ماذا حدث ؟

أطلق من صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يجيب فى توتر :

- الرئيس يريدنا فى مكتبه فوراً ، فلقد أثقلت تلك الحقيبة إلى المرحلة الجديدة ، وبدأت فى فرض إرادتها القامة .

وهنا تضاعف غضب وسخط مستشارة الأمن القومى الأمريكية ..

تضاعف ألف مرة ..

« هل تعتقدين أنهم سيرضخون هذه المرة ، ليتها الزعيمة .. »

ألقي قائد قواتها السؤال ، في اهتمام مشوب بالقلق ،
ولكن الزعيمة الغامضة نفثت دخان سيجارتها الحمراء في
عمق ، وقالت في ثقة بالغة ، وسخرية واضحة :

- ليس أمامهم خيار آخر .

تلقت عيناه ، وهو يقول :

- مائة مليار دولار ؟! ياله من مبلغ هائل !! إنه كفيلا
بأن يجعل منا أثري الأثرياء العالم بلامنازع .

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- إنها مجرد بداية .

هتف بكل دهشة الدنيا :

- مجرد بداية ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة :

- بالتأكيد يا رجل .. هذا المبلغ ، على الرغم من ضخامته ،

يكفي بالكاد لبناء ذلك الجيش الصغير ، الذي سيمسحنا القوة
الحقيقية ؛ فخطتي تبلغ ذروة من الطموح ، لم تخطر ببال
أعظم عظماء التاريخ .

قال في حيرة :

- مائة مليار دولار مبلغ رهيب ، يكفي لشراء دولة كاملة .

أشارت بسبابتها ، قائلة في حزم :

- ولكنه لا يكفي لبناء دولة قوية .

هتف بكل دهشة الدنيا :

- وهل تسعين لبناء دولة أيتها الزعيمة ؟!

أطلقت ضحكة عابثة طويلة أربكته ، قبل أن تقول :

- عقلك يعجز عن استيعاب الفكرة .. أليس كذلك ؟!

خضع في عصبية :

- أعترف بهذا .

أطلقت ضحكة أخرى مستفزة ، ونفثت دخان سيجارتها

بمنتهى العمق ، ثم أدارت عينها إليه ، قائلة :

- الفعل ما نصحتك به إذن .

تطلع إليه في تساؤل متوتر ، فالتفت نحوه ، وبدت ساخرة

عابثة ، وهي تستطرد في بضع :

- توقف عن التفكير .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكاتها العابثة الساخرة الطويلة ، على نحو استفز كل ثرة من كيانها ، حتى تمنى لو يسحب منسبها ، ويخرسها إلى الأبد ، برصاصة في منتصف جبهتها ، ولكن رقم المائة مئيل دولار ترد في ذهنه بقوة ، وأقنعه بالاحتمال والتماسك ، وهو يقول :

- فكرة الماسات النقية عبقرية بحق (*) .

هزت كتفها في لامبالاة ، قائلة :

- أراهن أنهم قد استتجوها مسبقاً ، فهذه هي الوسيلة الوحيدة لنقل مبلغ كهذا ، دون أن تحتاج إلى سفينة ركاب ضخمة .

سألها في اهتمام :

- ولكن هل سيجدون كل هذه الكمية من الماس ؟

قالت في هدوء :

- لن يبدلوا الكثير من الجهد .

(*) الماس : حجر كريم ، تركيبه كربون نقي متبلور ، وبلوراته تتبع مجموعة المكعب ، وهي شائعة ، أو نصف شائعة ، وقد تحوى قليلاً أصغر ، أو ثوري ، أو أخضر ، وأقدم موطن لاستخراجها (الهند) و (بورينو) ، ويعثر على المواد مشابهة ، أي أنه قادر على خدش كل المواد الأخرى .

ثم مالت نحوه مرة أخرى ، مستطردة في جنل :

- لقد أخبرتهم أين يجدونها بالضبط .

هتف في النهار :

- حقاً ؟

ثم سأل في نهفة :

- وهل يوجد مكان واحد ، في العالم كله ، يمكن أن

يخوى هذا المقدار من الماس النقي ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وأشارت بيدها ، قائلة :

- من الواضح أنك تجهل الكثير عن عالم الماس يا هذا ..

لفظال الوقت ، يتم استخراج الماس ، من مئات المتاجم ، في (أوروبا) ، و (إفريقيا) ، و (أمريكا الجنوبية) و (آسيا) ،

وكل ما يتم استخراجها ، ينقل إلى حيث يتم صقله وتصنيفه ،

إلى أنواع شديدة النقاوة ، وأخرى أقل نقاوة ، وهكذا ، حتى

نصل إلى الأنواع ضعيفة النقاوة ، والتي تستخدم في الصناعة ،

وفي قطع الموائد وحفرها .. ولو تم طرح كل ما يستخرج من

ماس ، لانخفاض سعره ، وضاعت قيمته في الأسواق ، لذا

فهناك مراكز معتمدة ، في (أوروبا) والولايات المتحدة

الأمريكية ، يتم فيها تخزين الماس ، وفقاً لترجات نقائه

المختلفة ، بحيث لا يطرح منه فى الأسواق ، سوى كميات محدودة ، تضمن الحفاظ على سعره ، وبقاءه على القيمة ، بين مختلف الأحجار الكريمة (*) .

وتوقفت لحظة ، لتلفت دخان سيجارتها فى استمتاع ، قبل أن تكمل فى استرخاء :

- وأحد أكبر مراكز التجميع والحفظ هذه ، يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ووفقاً لما جمعته من معلومات ، فهو يحوى ما قيمته مائة وعشرة مليارات من الدولارات ، فى شكل ماس بالغ النقاوة ، أو جيد النقاوة إلى حد كبير ، وهذا يعنى أننى لا أتميز بالطمع الشديد ، فقد تركت لهم ما يساوى عشرة مليار دولار من الماس .. أليس كذلك ؟؟

نظفت الجزء الأخير من عبارتها ، فى سخرية واضحة ، فقلب قائد قواتها شفثيه ، وغمغم :

- بلى أيتها الزعيمة .

(*) حيلة .

ثم عاد يتسائل فى اهتمام :

- ولكن ألن يودى طرح كل هذه الكمية من الماس إلى التخفيض سعره ؟؟

قالت فى سرعة :

- بل إلى انهياره تماماً .

بدت عليه دهشة عارمة ، وهو يقول :

- كيف ستريح منه إذن ؟؟

أشارت ببمباتها ، قائلة :

- ستريح منه أكثر مما تتصور .

هتف بكل الدهشة :

- وكيف ؟؟

صمتت طويلاً هذه المرة ، قبل أن تلقى سيجارتها بعيداً ، وتقول بمنتهى الصرامة :

- لا ترهق عقلك بالتفكير .. اترك هذه الأمور لى .

شعر بغضب شديد في أعماقه ، ولكنه غمغم :

- فليكن .

ثم أضاف في سرعة ، وكأنه يحاول تجاوز الموقف ،
الذي يثير غضبه وتوتره :

- هل تتوقعين أن يصل المصري إلى (واشنطن) ، على
الرغم مما فعلناه ؟!

صمتت طويلاً مرة أخرى ، قبل أن تقول في حزم :

- سيحتاج إلى الكثير من الحظ ليفعل ، فكل مهاراته وخبراته
لن تصنع هناك ..

وتوقفت لحظة ، ثم استطردت في شراسة :

- في قلب المحيط .

ومرة أخرى ، شعر الرجل بالخوف منها ..

الخوف بلا حدود ..

كان الموقف خطيراً للغاية بالفعل ..

صحيح أن (أدهم) يقود مقاتلة أكثر حداثة ، وأكثر
قوة ..

ولكن دون سلاح واحد ..

الوسيلة الوحيدة ، التي تبقيت أمامه ، هي أن
يواصل مطاردة تلك المقاتلة المجهولة ؛ حتى يملعها
من اتخذ موضع ، يتيح لها إطلاق صاروخها الثاني
نحوه ..

وحتى هذا لم يكن متاحاً ..

فوقود مقاتلته يتناقص بمنتهى السرعة ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

ولن تمضي دقائق قليلة ، حتى ينطفئ الوقود تماماً ..

دقائق قليلة جداً ..

وهذا يعني أنه لن يربح معركته هذه المرة ..

لن يريحها أبداً ..

لن يمكنه أن يريحها ..

وعلى الرغم من ثقته في هذا ، واصل المطاردة بكل القوة ..

وكل الإصرار ..

« مات فعله لأطفال وراعه أيها المصري .. »

التقط جهاز الاتصال في مقاتلته العبارة ، بلهجة ساخرة ، وصوت حاد ، ولحظة غير أمريكية ، فاعتقد حاجباه في شدة ، وسمع صاحب الصوت الغليظ يهتف :

« رياء ! لديه شفرة الاتصال الخاصة بنا .

لم يحاول (أدهم) التعليق على العبارة ، وقائد المقاتلة المجهولة يواصل ، عبر جهاز الاتصال في مقاتلته :

« أعلم جيداً أنك لا تمتلك أية أسلحة ، وأن وقودك على وشك النفاد .. أولئك الحمقى الأمريكيون خشوا أن تستخدم مقاتلتهم ، في ضرب أهداف عسكرية لديهم ، فزعموا تسليح مقاتلتك تماماً ، قبل أن يسمحوا لك بقيادتها .

كان (أدهم) يشعر بالغضب لهذا الموقف ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قاتل في سخرية :

« وهل تعتقد أن هذا يضاعف من فرصتك في إسقاطي ؟ »

أجابته قائلة المقاتلة المجهولة على الفور :

« ومن سيحاول حتى أن يفعل ؟ »

رأى (أدهم) المقاتلة المجهولة تنحرف ، لتواجه طائرة الوقود مباشرة ، وقائدها يواصل :

« هناك هدف أيسر .

ومع آخر حروف كلمته ، انطلق صاروخه الثاني والأخير ، نحو طائرة الوقود مباشرة ، ونقل جهاز الاتصال ، في مقاتلة (أدهم) ، صوت قائدها الغليظ ، وهو يصرخ :

« لا .. ليس ..

وقبل أن تكتمل صرخته ، دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، أضاع السماء كلها ، بكثرة لهب هائلة .

مع اشتعال كل الوقود ، الذي حوته خزانات الطائرة الكبيرة ،
وانبعثت معه موجة تضاعفية عارمة ، أخلت بتوازن مقاتلة
(أدهم) ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها المقاتلة
الأخرى مبتعدة ، بأقصى سرعتها ..

وبكن ما يعتك من قوة ، وخبرة ، ومهارة ، راح (أدهم)
يقاتل : لاستعادة السيطرة على المقاتلة ، وهو يدرك جيداً
أن انفجار طائرة الوقود ، قد وضعه في مأزق رهيب ..
فحتى لو استعاد السيطرة على المقاتلة ، فإن الوقود
سينفد خلال لحظات قليلة ..

وعندئذ ستهوى مقاتلته حتماً ..

في قلب المحيط .

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثاني بإذن الله

(الغامضة)



د. نبيل ماروق

**رجل
المتحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

146

المأزق

- ماذا طألت الجابرات الأمريكية بعزل
(أدهم صبري) من مقصده 15
- ما سر تلك الرعيمة الغامضة ، التي تحاول
السيطرة على الموقف العالمي كله 15
- ترى هل ينجح (أدهم) في تجاوز الأزمة
وهل يجد مخرجاً من هذا (المأزق) 15
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاقل بعقلك
وخيالك مع الرجل - (رجل المستحيل) -



العدد القادم (الغامضة)

الأمسية العربية الحديثة
لنور الدين